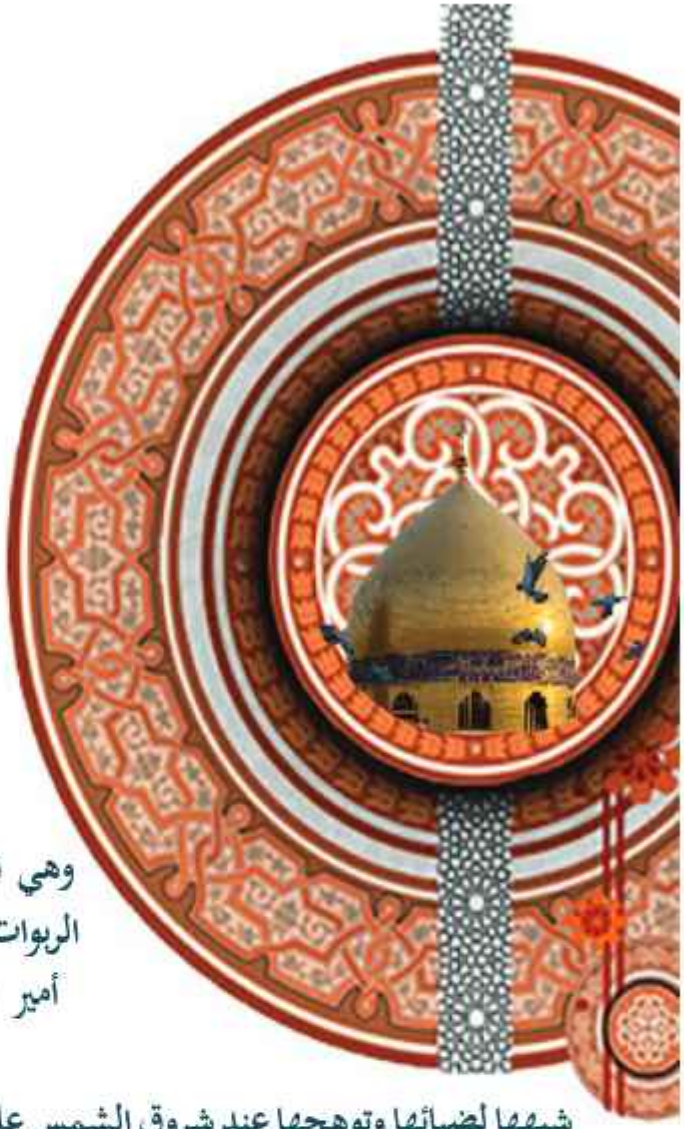

الذكوات البيض

اسم مشتق من الذكوة
وهي الجمرة الملتهبة والمراد بالذكوات
الربوات البيض الصغيرة المحيطة بمقام
أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
{عليه السلام}
شبهها لضيائها وتوهجها عند شروق الشمس عليها لما فيها من الدراري المضيئة
{در النجف}

فكأنها جمرات ملتهبة وهي المرتفع من الأرض، وهي ثلاثة مرتفعات صغيرة نتوءات بارزة في أرض الغري وقد سميت الغري باسمها، وكلمة بيض لبروزها عن الأرض.وفي رواية انها موضع خلوته أو أنها موضع عبادته

في رواية أخرى في رواية المفضل
عن الإمام الصادق{عليه السلام}

قال: قلت:يا سيدي فأين يكون دار المهدي ومجمع المؤمنين؟ قال:

يكون ملكه بالكوفة، ومجلس حكمه جامعها وبيت ماله ومقسم غنائم المسلمين مسجد السهلة وموضع خلوته الذكوات البيض

العدد (١٢) السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦ هـ – أيلول ٢٠٢٤ م

المجلد الرابع

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
دائرة البحث والتطوير

Republic of Iraq
Ministry of Higher Education &
Scientific Research
Research & Development
Department

ديوان الوقف الشيعي / دائرة البحوث والدراسات

م/ مجلة الذكوات البيض

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

إشارة الى كتابكم المرقم (١٠٤٦) والمؤرخ (٢٠٢٢/٨/١٤) والمتضمن طلبكم نشر بحوث الوقف المنشورة أعلاه ، وبعد التصويت على البحث المعاري الموسوم (المخروط وتطبيقاته) الموقع الكتروني للمجلة تعتذر الهيئة الموقرة في كلتا الحالتين موافقتها بنشر البحوث المقدمة

مع وافر التقدير

أ.د. حسين صالح حسن
المدير العام لدائرة البحث والتطوير / وكالة
٢٠٢٢/١٢/١٧

نسخة منه إلى
- السيد رئيس الهيئة المحترم لتفضلكم بالاطلاع والتوجيه بما تراه مناسباً.
- السيد ...

مهند فرحان
... التطوير الثاني

إشارة إلى كتاب وزارة التعليم العالي والبحث العلمي / دائرة البحث والتطوير
المرقم ٥٠٤٩ في ٢٠٢٢/٨/١٤ المعطوف على إعمامهم
المرقم ١٨٨٧ في ٢٠١٧/٣/٦
تُعدّ مجلة الذكوات البيض مجلة علمية رصينة ومعتمدة للترقيات العلمية.

فصلية مُحكَمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية

المشرف العام
علاء عبد الحسين جواد القسّام
مدير عام دائرة البحوث والدراسات

رئيس التحرير
أ.د. فائز هاتو الشرع

مدير التحرير
حسين علي محمد حسن الحسني

هيأة التحرير
أ.د. عبد الرضا بهية داود
أ.د. حسن منديل العكيلي
أ.د.نضال حنش الساعدى
أ.د. حميد جاسم عبود الغرابي
أ.م.د. فاضل محمد رضا الشرع
أ.م.د. عقيل عباس الريكان
أ.م.د. أحمد حسين حيال
أ.م .د. صفاء عبدالله برهان
م.د.موفق صبرى الساعدى
م.د.طارق عودة مرى
م.د. نوزاد صفر بخش
أ.د.نور الدين أبو لحية / الجزائر
أ.د. جمال شلبي/ الاردن
أ.د. محمد خاقاني / إيران
أ.د. مها خير بك ناصر / لبنان

التدقيق اللغوي
م.د. مشتاق قاسم جعفر

الترجمة الانكليزية
أ.م.د. رافد سامي مجيد

العدد (١٢) السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦ هـ - أيلول ٢٠٢٤ م

فصلية مُحكَمة تُعنى بالبحوث والدراسات العلمية والإنسانية والفكرية

مجلة الذكوات البيض
جمهورية العراق
بغداد /باب المعظم
مقابل وزارة الصحة
دائرة البحوث والدراسات

الاتصالات
مدير التحرير
٠٧٧٣٩١٨٣٧٦١
صندوق البريد / ٣٣٠٠١

الرقم المعياري الدولي
ISSN 2786-1763
رقم الإيداع
في دار الكتب والوثائق(١١٢٥)
لسنة ٢٠٢١

البريد الالكتروني
إيميل
off reserch@sed.gov.iq
hus65in@gmail.com

العدد (١٢) السنة الثالثة صفر الخير ١٤٤٦ هـ – أيلول ٢٠٢٤ م

دليل المؤلف .....

١–أن يتسم البحث بالأصالة والجدّة والقيمة العلمية والمعرفية الكبيرة وسلامة اللغة ودقة التوثيق.
٢– أن تحتوي الصفحة الأولى من البحث على:
أ. عنوان البحث باللغة العربية .
ب . اسم الباحث باللغة العربية، ودرجته العلمية وشهادته.
ت . بريد الباحث الإلكتروني.
ث . ملخصان: أحدهما باللغةِ العربية والآخر باللغةِ الإنكليزية.
ج . تدرج مفاتيح الكلمات باللغة العربية بعد الملخص العربي.
٣–أن يكونَ مطبوعًا على الحاسوب بنظام(office Word) ٢٠٠٧ أو ٢٠١٠) وعلى قرص ليزري مدمج (CD) على شكل ملف واحد فقط (أي لا يُجزّأ البحث بأكثر من ملف على القرص) وتُزوَّد هيأة التحرير بثلاث نسخ ورقية وتوضع الرسوم أو الأشكال، إن وُجدت، في مكانِها منَ البحثِ، على أن تكونَ صالحةً مِنَ الناحيةِ الفنيَّة للطباعة.
٤–أن لا يزيدَ عدد صفحات البحث على (٢٥) خمس وعشرين صفحة من الحجم (A4).
٥. يلتزم الباحث في ترتيب وتنسيق المصادر على الصغية APA
٦–أن يلتزم الباحث بدفعِ أُجور النشر المحدَّدة البالغة (٧٥،٠٠٠) خمسة وسبعين ألف دينار عراقيّ، أو ما يعادلها بالعملات الأجنبية.
٧–أن يكونَ البحثُ خاليًا مِنَ الأخطاءِ اللغوية والنحوية والإملائيَّة.
٨–أن يلتزم الباحث بالخطوط وأحجامِها على النحو الآتي:
أ. اللغة العربية: نوع الخط (Arabic Simplified) وحجم الخط (١٤) للمتن.
ب . اللغة الإنكليزية: نوع الخط (Times New Roman) عناوين البحث (١٦). والملخصات (١٢)
أما فقرات البحث الأخرى؛ فبحجم (١٤) .
٩–أن تكونَ هوامش البحثِ بالنظام الأكتروني(تعليقات ختامية) في نهاية البحث. بحجم ١٢.
١٠–تكون مسافة الحواشي الجانبية (٢,٥٤) سم،والمسافة بين الأسطر (١) .
١١–في حال استعمال برنامج مصحف المدينة للآيات القرآنية يتحمل الباحث ظهور هذه الآيات المباركة بالشكل الصحيح من عدمه، لذا يفضّل النسخ من المصحف الالكتروني المتوافر على شبكة الانترنيت.
١٢–يبلَّغ الباحث بقرارِ صلاحيَّة النشر أو عدمها في مدَّةٍ لا تتجاوز شهرين من تاريخ وصولهِ إلى هيأةِ التحرير.
١٣–يلتزمُ الباحث بإجراءِ تعديلات المحكّمين على بحثهِ وفق التقارير المرسلة إليهِ وموافاةِ المجلة بنسخةٍ مُعدَّلةٍ في مدَّةٍ لا تتجاوزُ (١٥) خمسة عشر يومًا.
١٤–لا يحق للباحث المطالبة بمتطلبات البحث كافة بعد مرور سنة من تاريخ النشر.
١٥–لاتعاد البحوث الى أصحابها سواء قُبلت أم لم تُقبل.
١٦–تكون مصادر البحث وهوامشه في نهاية البحث، مع كتابة معلومات المصدر عندما يرد لأول مرة.
١٧–يخضع البحث للتقويم السري من ثلاثة خبراء لبيان صلاحيته للنشر.
١٨–يشترط على طلبة الدراسات العليا فضلاً عن الشروط السابقة جلب ما يثبت موافقة الأستاذ المشرف على البحث وفق النموذج المعتمد في المجلة.
١٩–يحصل الباحث على مستل واحد لبحثه، ونسخة من المجلة، وإذا رغب في الحصول على نسخة أخرى فعليه شراؤها بسعر (١٥) ألف دينار.
٢٠–تعبر الأبحاث المنشورة في المجلة عن آراء أصحابها لا عن رأي المجلة.
٢١–ترسل البحوث إلى مقر المجلة – دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي بغداد – باب المعظم)
أو البريد الإلكتروني:(hus65in@Gmail.com) (off reserch@sed.gov.iq) بعد دفع الأجور في مقر المجلة
٢٢–لا تلتزمُ المجلة بنشر البحوث التي تُخلُّ بشرطٍ من هذهِ الشروط .

مجلة علمية فكرية فصلية محكمة تصدر عن دائرة البحوث والدراسات في ديوان الوقف الشيعي

محتوى العدد الثاني عشر المجلد ٤

ت	اسم المؤلف واللقب العلمي	عنوان البحث	ص
١	أ.د. صلاح الدين قادر أحمد	دلالات الشكل والجمال في التصميم الداخلي	٨
٢	أ.د. جنان ناظم حميد	الأثر العقديّ في التفسير اللغويّ (ثلّة) أنموذجاً	٢٨
٣	أ.د. اسراء خليل فياض حسين	الآخر في شعر ابن دريد الأزدي	٥٠
٤	أ.د. عذراء اسماعيل زيدان	دور مادة الاشغال اليدوية في خدمة المجتمعات طالبات المرحلة الجامعية دراسة ميدانية	٥٨
٥	هدى حميد كاظم أ.د. رياض عبّود إهوين	النظير النحوي عند المنتجب الهمذاني (ت ٦٤٣هـ) في كتابه (الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد) دراسة تحليلية	٦٨
٦	م. د. إبراهيم صالح مهدي	فلسفة التكامل وحماية البيئة في الشريعة الإسلامية	٨٢
٧	م.د. عزيز صادق عزيز	دور المحكمة الاتحادية العليا في مكافحة الفساد	٩٢
٨	م.د. ناصر عبود حمد	قاعدة العزة، دراسة فقهية استدلالية وتحليلية	١٠٤
٩	م.د. قائد عبد المطلب بناء م.د. سوسن جمال جواد	الروايات التفسيرية الواردة عن الصادقين(عليهما السلام) بين القبول والرد (دراسة في المباني الرجالية عند الإمامية)	١١٨
١٠	م.د. موفق صبري مهدي	أثر أسلوب التعلم التشاركي في تحصيل طلبة كلية الآداب في مادة علم الأحياء وتفكيرهم المنطقي	١٣٦
١١	م. شهد أحمد كاظم	تقطيع الاحاديث عند مدرسة أهل البيت(عليهم السلام) دراسة في الأقسام والأسباب والآثار	١٥٢
١٢	م. آمنه فاضل فياض	آراء الشيخ محمد المكي الناصر في علوم القرآن في تفسيره اليسير في أحاديث التفسير	١٦٤
١٣	م. هدى غازي عسكر	تمثلات الآخر في شعر قعنب بن أم صاحب (ت٩٦هـ)	١٧٢
١٤	فدك فريد حميد عبد الرضا أ.م. د. مسلم حسين عطية	المسؤولية الأسرية بين الأبوين في ضوء التعاليم الإسلامية	١٨٤
١٥	أنس كريم علوان م.د. خالد فرج	مفهوم الغيب عند محمد شحرور "دراسة عقدية"	١٩٤
١٦	م.م. ليلى مجيد كاظم	أبنية الجموع في كتاب الممتع في التصريف	٢٠٦
١٧	م. م. علي كردي عبد حسين م. د. محمد علي راغبي	الملكيّة وأسبابها في الفقه والقانون	٢١٦
١٨	م. م. حيدر جبار مريوش	الأثر النحويّ لقراءة أهل البيت (عليهم السلام) في توجيه دلالات الألفاظ القرآنيّة	٢٣٦
١٩	م. م. سالم محمد نعيمة أ. د. محمد علي حاجي	السياسة الجنائية العراقية اتجاه الجرائم الجنسية بالصغار	٢٤٨
٢٠	م.م. أكرم عباس محمد علي	نظرات إسلامية على العقد الالكتروني	٢٧٤
٢١	م.م. جعفر سليم محسن	الذكاء الأخلاقي وعلاقته بالسمو الذاتي لدى طلبة كلية التربية البدنية وعلوم الرياضة في جامعة المستنصرية	٢٨٤
٢٢	م.م أسعد كاظم بدر	موقف الجندي من الحرب في الرواية العراقية	٣٠٦
٢٣	م.م. مالك أحمد سدخان	النشاط الزراعي والتجاري عند الأنباط والتدمريون	٣١٨
٢٤	م.م. أمير حسن عبد علي	مدرستا النصّ والرأي، وأثرهما في التفسير	٣٣٠
٢٥	م.م. حيدر بشار سعيد	اختلاف الفقهاء في مسألة أخذ الجماعة للواحد	٣٤٢
٢٦	Inst.Nadia Ahmed Farhood	The political dimension in	٣٥٦

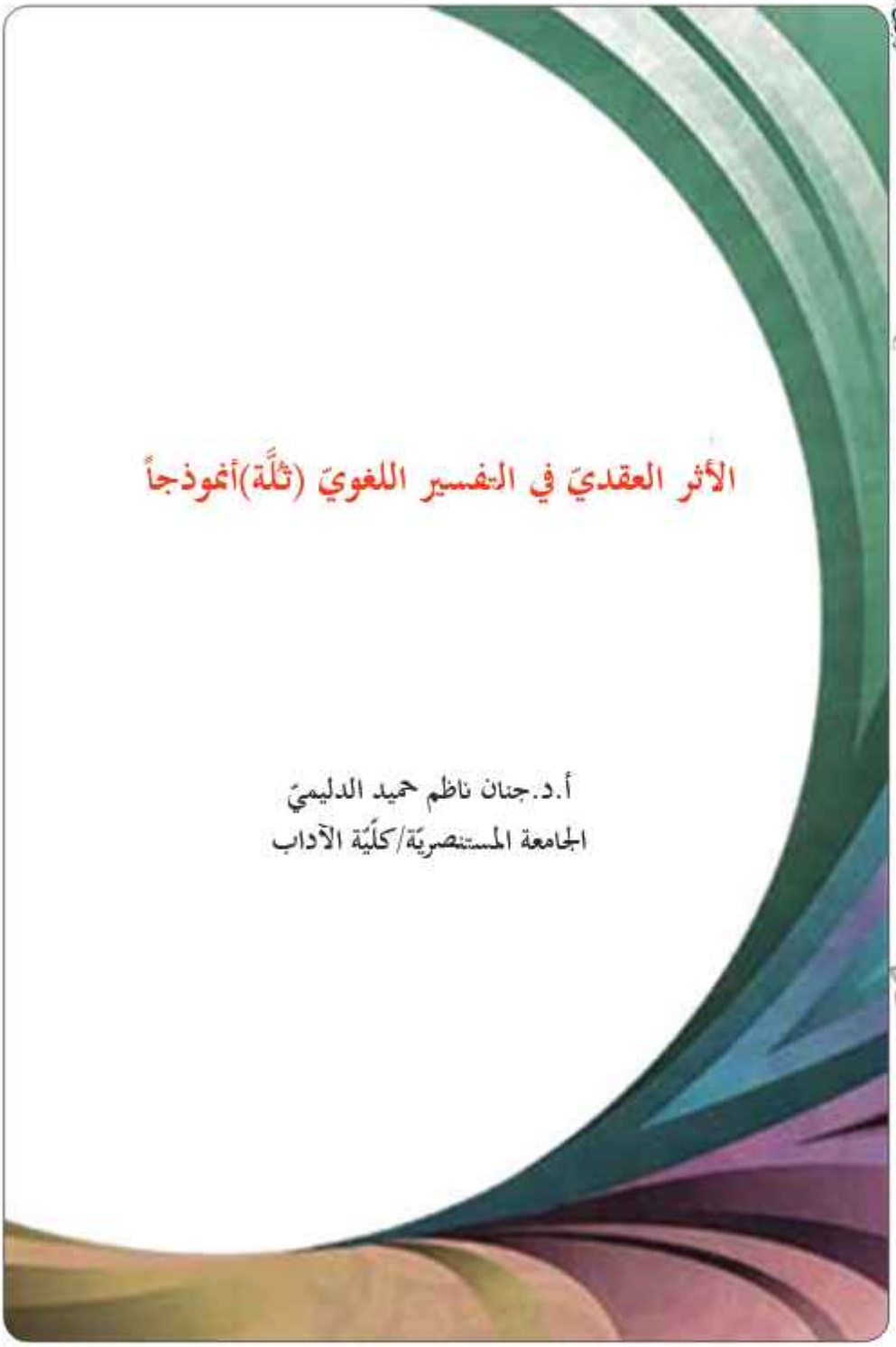

الأثر العقديّ في التفسير اللغويّ (ثلّة)أنموذجاً

أ.د.جنان ناظم حميد الدليميّ
الجامعة المستنصريّة/كلّيّة الآداب

المستخلص:
فكرة البحث جاءت من ملاحظة تأثّر المفسّرين بالعقائد الإسلاميّة الكلاميّة، وقد جرت لفظة (ثلّة) في التوجيه الاحتماليّ، بتأثير الهوى العقديّ، وكان الرأي اللغويّ المبرَّز لدى المفسّرين في لفظة (ثلّة) أنّها دالّة على الكثرة الكاثرة، مقابل الدلالة على الجماعة الكثيرة في لفظة (قليل) مع أنّ القليل لا يُطلق على الكثير في اللغة . والرأي الآخر أنّ (الثلّة) يراد بها القليل لأنّها دالّة على الجماعة مُطلقا بلا قيد بالكثير، ممّا يُخالف واقع الاستعمال اللغويّ الشائع لها في الدلالة على الكثرة . ورأي ثالث يذهب إلى أنّها دالّة على الكثرة العظيمة مقابل القليل على ما هو عليه ظاهر الآية الكريمة وواقع الاستعمال اللغويّ، ولكن بتوجيه سهام التأويل الاعتباطيّ إلى دلالة ما تعلّق بـ(ثلّة) من لفظتي : الأوّلين والآخرين ، إلى جانب تفريغ لفظ (السابقون) من دلالته المُميِّزة في البناء والمعجم والإعراب . على حين رجّح البحث دلالة (الثلّة) على الكثرة الكاثرة لملحظ اقتطاعها من مجموع الأمم السالفة مع بقاء لفظة (القليل) دالّة على القلّة الحقيقيّة ، سواء كانت نسبيّة أم عدديّة ، من غير المساس بدلالة ما جاورها من الألفاظ، على ما يتبيّن من البحث.

الكلمات الافتتاحيّة : العقديّ ، التفسير ، ثلّة ، اللغويّ.

Abstract:

The idea of the research came from noticing the way interpreters have been affected by Islamic verbal doctrines. The word (thula) has become common in probabilistic directing as a result of doctrinal whims, and the most prominent linguistic opinion among interpreters regarding the word (thula) has been that it means a very large group of people; this is contrast to the word (qaleel), which has been interpreted as "a large group of people", despite the fact that word (qaleel) means "a few". Additionally, another opinion states that the word (thula) is used to mean "a few people" since it refers to the group as an absolute entity without referring to its size, which contradicts the actual common linguistic use of the word, which is "a very large group of people". Moreover, a third opinion says that (thula) means "a great number of people" compared to a few people as the superficial meaning of the Qur'anic verse and the real-world use of the word indicate, but with the guidance of arbitrary interpretation of the meaning of the words used with the word thula, which are: alawaleen (meaning "the predecessors"), and alakhareen (meaning "the successors"), in addition to stripping the word "alsabiqoon" (meaning "the previous") from its unique meaning in the dictionary, grammatical analysis, and structure. Meanwhile, this research suggests that the meaning of the word (thula) should be "the large group of people", by realizing that the word hasn't been used to refer to the successors, but the word (qaleel), which means "a few", has been used instead, regardless of the "few" being relative or numeric, without touching the meaning of other words coming after it based on the facts gathered from research.

Keywords: doctrinal, interpretation, thula (group), linguistic

المقدّمة :

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على خير المرسلين وآله الطيّبين الطاهرين وبعد . البحث بعنوان : الأثر العقديّ في التفسير اللغويّ (قلّة) أنموذجا ، وجاءت فكرة البحث من اشتمال كتب التفسير على كثير من التأويلات التفسيريّة الاحتماليّة والتوجيهات اللغويّة الجائزة لمفردات القرآن الكريم وتراكيبه ، وكان لهذا الاحتمال التفسيريّ أسبابه ودواعيه التي أنتجت اختلافات واضحة في المعاني التأويليّة للآيات القرآنيّة وصلت حدّ التناقض فيما بينها في أحيان كثيرة فضلا عن تغايرها وافتراقها . واستندت تلك الاحتمالات إلى التأويل الاعتباطيّ لدلالة الألفاظ القرآنيّة المخالف لما استقرّ في المدوّنة اللغويّة من ثوابت تخصّ البناء الصرفيّ للألفاظ والمعاني المعجميّة الشائعة لها في الاستعمال الفصيح ، فلجؤوا إلى شحن الآيات القرآنيّة بأوجه إعرابيّة تنغمر في متاهات القول بالتقديرات والمحذوفات المصطنعة ، ووجد البحث أنّ من أبرز العوامل التي تقف وراء التعدّديّة التأويليّة للآيات المباركة هي الاختلافات العقديّة لدى المفسّرين ، التي تحملهم على ليّ عنق الألفاظ والالتفاف حول القواعد اللغوية المستقرّة عند أهل الصنعة . ولأنّ الكتاب العزيز واحد من عند الواحد فمعانيه ودلالاته واحدة لا تقبل التغاير والتناقض ، لذا يسعى البحث إلى نقض الاحتمالات التأويليّة وفسح المجال للتفسير القصديّ أن يأخذ طريقه في الكشف عن التأويل السليم للآيات القرآنيّة الذي ينأى عن التقديرات المقحمة والمحذوفات الأجنبية عن الظاهر التركيبيّ للآيات ويحافظ على النظام الربطيّ للألفاظ في نسيجها الظاهريّ ، ويتجنّب التكلّف في الإعراب ، ويجنح إلى اعتماد الاستعمال اللغويّ الشائع للألفاظ الناظر إلى أصولها المعجميّة ممّا يُفضي إلى وحدة التفسير الموضوعيّ للألفاظ في مواردها المتعدّدة ، وكذا يهدف البحث إلى تجريد التأويل اللغويّ عن الوقوع تحت طائلة الاعتقادات الخاصّة بالمفسّر والتأسيس لأصول ترجيحيّة تعتمد على تحرّي العلميّة والدقّة اللغويّة ونبذ الهوى والميول الشخصيّة ؛ لتتجلّى للباحث أسرار الإعجاز القرآنيّ متناغمة مع قواعد الاستعمال اللغويّ . والبحث يسلّط الضوء على المعطيات اللغويّة ودورها في الكشف عن الأقرب إلى واقع اللغة ، ومحاكمة الأدلّة المقدّمة وبيان ضعف ما كان منها مستندا إلى الاجتهادات والأهواء والعقائد الشخصيّة التي تتصادم مع ثوابت اللغة ووحدة التركيب المشتمل على اللفظة محلّ البحث . ولذا رأى البحث أن ينتخب –لكثرة الأمثلة التأويليّة الاحتمالية لألفاظ القرآن الكريم – مفردة قرآنيّة واحدة هي لفظة (ثُلَّة) في قوله تعالى:(ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ ۔ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ)(الواقعة ١٣–١٤)، إذ جرت هذه اللفظة في التوجيه الاحتماليّ ، بتأثير الهوى العقديّ ، وكان الرأي اللغويّ المبرّز لدى المفسّرين في لفظة (ثُلَّة) أنّها دالّة على الكثرة الكاثرة ، مقابل الدلالة على الجماعة الكثيرة في لفظة (قليل) مع أنّ القليل لا يُطلق على الكثير في اللغة . والرأي الآخر أنّ (الثُلَّة) يراد بها القليل لأنّها دالّة على الجماعة مُطلقا بلا قيد بالكثير، ممّا يُخالف واقع الاستعمال اللغويّ الشائع لها في الدلالة على الكثرة . ورأي ثالث يذهب إلى أنّها دالّة على الكثرة العظيمة مقابل القليل على ما هو عليه ظاهر الآية الكريمة وواقع الاستعمال اللغويّ، ولكن بتوجيه سهام التأويل الاعتباطيّ إلى دلالة ما تعلّق بـ(ثُلَّة) من لفظتي : الأوّلين والآخرين ، إلى جانب تفريغ لفظ (السابقون) من دلالته المُميَّزة في البناء والمعجم والإعراب . على حين رجّح البحث دلالة (الثُلَّة) على الكثرة الكاثرة ملحظ اقتطاعها من مجموع الأمم السالفة مع بقاء لفظة (القليل) دالّة على القلّة الحقيقيّة ، سواء كانت نسبيّة أم عدديّة ، من غير المساس بدلالة ما جاورها من الألفاظ ، على ما يتبيّن من البحث .

التمهيد : دلالة لفظة (ثُلَّة) بين القصديّة المعجميّة والاعتباطيّة التأويليّة

أوّلاً : القصديّة المعجميّة

لبيان المعنى المراد من التصنيف الثلاثيّ للناس في الآيات الأُوَل من سورة الواقعة لا بدّ من تحديد الدلالة المعجميّة الدقيقة للفظة(الثُلَّة)في الاستعمال الفصيح، إذ نجد كثرة المعاني التي تلمّسها اللغويّون للجذر (ثلل) ، وفيها خلطوا بين الأصل والمجاز منه ، ويمكن ترتيب ما ذُكر من مشتقّات بحسب مدلولها ، فالثلاثيّ المجرّد تُرتّب استعمالاته كما يأتي : يُقال: ثلّ البيتَ يثلُّه ثلًا : هدمه ، وهو أن يحفر أصل الحائط ثمّ يدفع فينقضّ ، وهو أوّل الهدم ، وتثلّل هو : تهدّم وتساقط شيئا

بعد شيء(١)، ومعنى التساقط التدريجيّ هذا مفهوم من الصيغة الصرفيّة (تفعّل) التي انسبك الفعل (تثلّل) عليها. أمّا المجرّد (ثلّ) فيحصل مرّة واحدة ، أي إنّ الأصل في مادّة (ثلل) أن تدلّ على هدم الحائط ونحوه ابتداء ، وهو المعبّر عنه بأوّل الهدم ، والدليل على هذا أنّ المُحصّل من النظير الاشتقاقيّ للثلل هو (الثلم) مدلول مقارب له ، فالثلم : اقتطاع جزء من كلّ قطعا مُبينا مرّة واحدة ، قال الجوهريّ : " الثّلمة : الخلل في الحائط وغيره ، وقد ثلمتُه أثلِمه بالكسر ثلما . يُقال في السيف ثلْم ، وفي الإناء ثلْم ، إذا انكسر من شفته شيء ، وثلَم الوادي بالتحريك ، وهو أن يَثلِم حرفه " (٢). ثمّ انشعبت من الأصل الثلاثيّ عدّة معانٍ مجازيّة وبلحاظ كثيرة هي :

١–لمّا كان الثلّ هدما للقائم والظاهر فوق الأرض توسّعوا في هذا الهدم لِما كان في باطنها ، فأطلقوا الثلّ على الحفر ، فقالوا : ثلّة التراب للذي يخرج من البئر . " والثلّة ما أخرجت من أسفل الركيّة من الطين ... وفي الحديث أنّ النبيّ (صلى الله عليه وآله) قال : لا حمى إلّا في ثلاث : ثلّة البئر ، وطَوَل الفرس ، وحَلْقة القوم ، قال أبو عبيد: أراد بثلّة البئر أن يحتفر الرجل بئرا في موضع ليس بملك لأحد ، فيكون له من حوالي البئرمن الأرض ما يكون مُلْقًى لثلّة البئر ، وهو ما يخرج من ترابها ويكون كالحريم لها ، لا يدخل فيه أحد عليه حريما للبئر "(٣).

٢–إنّ الأصل الثلاثيّ لمّا كان دالّا على معنى الهدم السريع لا التدريجيّ ، استعاروا ذلك لمعنى الصبّ والتفريغ السريع ، فقالوا : ثلّ الدراهم يثلّها ثلّا : صبّها(٤).

٣–لمّا كان صبّ الدراهم مصحوبا بصوت صريرها أطلق الثلّ على معنى التصويت ، فقالوا : ثَلِيل الماء : صوت انصبابه(٥).

٤–لمّا كان الثلّ في الأصل ظاهرا في البناء ونحوه فإنّ إطلاقه على ما ليس قائما غير موجّه ، ولذا اكتسب الثلّ معنى التحريك بدلا من الهدم في التراب ونحوه ، فقالوا : " ثلّ التراب المجتمع : حرّكه بيده أو كسره من أحد جوانبه، ويقال :ثلّلت التراب في القبر والبئر أثلّله ثلّا إذا أعدته فيه بعدما تحفره" (٦).

٥–إنّ الثلّ لمّا كان يحصل مرّة واحدة وبلا مهلة استعير لمعنى زوال الملك والجاه بعد العزّ والغناء ، فقالوا : ثلّ عرش فلان ثلّا : هُدِم وزال قِوام أمره ، وأثلّه الله ، ويقال للقوم إذا ذهب عزّهم : قد ثُلّ عَرشُهم(٧)، وفي حديث عمر : رُؤِي في المنام وسُئل عن حاله ، فقال : كاد يثلّ عرشي ، أي : يُكسَر ويُهدَم ، وهو مثل يُضرَب للرجل إذا ذلّ وهلك(٨).

٦–توسّعوا في المجاز السابق فأطلقوا الثلّ على الأحياء أنفسهم لا أموالهم وعزّهم ، فصار بمعنى القتل والهلاك ، عن الأصمعيّ : ثلّهم يثلّهم ثلّا: أهلكهم (٩)، ومن هنا تعدّدت المعاني التي ساقها اللغويّون لـ(ثلّة) وكلّ واحد منها ينطلق من أحد المعاني التي لوحظت في المجرّد (ثلل) على النحو الآتي :

أ–باعتبار تراكم الحطام والجذاذ بفعل أثر التهديم والتكسير الملحوظ في (ثلل) أطلقوا الثلّة على ربيضة الغنم والضأن ، فقالوا : الثلّة جماعة الغنم ، قليلة كانت أو كثيرة(١٠)، وقيل : الثلّة الكثير منها ، وقيل : هي القطيع من الضأن خاصّة ، وقيل : الثلّة الضأن الكثيرة ، وقيل الضأن : إذا اجتمعت الضأن والمعزى فكثُرتا قيل لهما ثلّة(١١).

ب–لمّا كان الظاهر للعين من اجتماع الغنم هو اجتماع الصوف إلى الصوف فلا ترى العين إلّا صوفا مصطفّا أطلقوا الثلّة على الصوف ؛ لاجتماع بعضه إلى بعض في الغنم كلّها حين اجتماعها في ربيضة أو الواحد منها وهو الظاهر ، ولكنّ الأولى أن يكون المراد هو عموم الغنم لا واحدها ، قال ابن دريد : " الثلّة : الصوف فقط ، يُقال : كساء جيّد الثلّة ، أي : الصوف ، وحبل ثلّة ، أي : صوف ، ... وفي حديث الحسن : إذا كانت لليتيم ماشية فللوصيّ أن يُصيب ثلّتها ورسلها ، أي : من صوفها ولبنها(١٢)، قال ابن الأثير : " سُمّي الصوف بالثلّة مجازا ، وقيل : الثلّة : الصوف والشعر والوبر إذا اجتمعت ، ولا يقال لواحد منها دون الآخر ثلّة "(١٣).

ج–لمّا كان المفهوم من اجتماع الصوف إلى الصوف كثرة بالغة أطلقوا ذلك على الكثير من كلّ شيء ،كالمال والناس ، فقالوا : الثلّة الكثير من الدراهم ، والثلّة بالضمّ : الجماعة من الناس ، وقد ألَلّ الرجل فهو مُثِلّ : إذا كثرت عنده الثلّة(١٤).

نخلص ممّا تقدّم أنّ مدلول الثلّة على الجماعة الكثيرة من الناس من المجاز المُركّب ، وهو في الأصل بمعنى الهدم والثلم ، فكأنّ الثلّة جزء مثلوم عن كلّ ، وتُعرَف حدود الثلّة من مقدار ملازمها الأصليّ ، الذي اقتُطعت منه ، ولمّا كان السابقون قبل البعثة النبويّة هم جنس البشريّة من لدن آدم (عليه السلام) حتّى البعثة النبويّة ، فيُعلَم حينئذ المراد بالثلّة من الناس من حيث عددهم ، فهم كثرة كاثرة ، ولذا قُرنت بالقليل من السابقين الآخرين .

ثانياً: الاعتباطيّة التأويليّة

لمّا كانت الثلّة من السابقين في الأمم السالفة هي الجماعة الكثيرة ، فهذا يعني أنّ الآخرين متّصفون بالقلّة الحقيقيّة للصنف نفسه ، وهذه الحقيقة اللغويّة تصطدم مع المنطلقات العقديّة لكثير من المذاهب الإسلاميّة الكلاميّة ، لذا نجدهم يعمدون إلى تأويلات اعتباطيّة للفظة (الثلّة) وما اتّصل بها من ألفاظ . ولبيان هذه التأويلات الاعتباطيّة لا بدّ أوّلا من تسليط الضوء على العقائد الإسلاميّة بصورة عامّة ، وأثرها لدى المفسّرين بصورة خاصّة تمهيدا لفهم اختلافاتهم التأويليّة وبيان أدلّتهم الاعتباطيّة . فالعقيدة في اللغة تدلّ " على شدّ وشِدّة وثوق "(١٥)، وفي الاصطلاح تعني " الإيمان الجازم والحكم القاطع الذي لا يتطرّق إليه الشكّ لدى المعتقد سواء كان ذلك حقّا في مطابقته الواقع أو كان باطلا " (١٦)، وتُسمّى بالتوحيد أوأصول الدين أو علم الكلام أو الإلهيّات أو علم الأسماء والصفات أو الفقه الأكبر (١٧)، والمشهور عند أهل الصنعة هو مصطلح علم الكلام ، وعرّفوه بأنّه " علم يُقتدَر معه على إثبات العقائد الدينيّة على الغير بإيراد الحجج ودفع الشُبَه " (١٨)، وقد تعدّدت المذاهب العقديّة عند المسلمين فانقسموا إلى اتّجاهات مختلفة أبرزها:الأشاعرة ، والمعتزلة،(١٩) والسّلفيّة (٢٠)، والإماميّة ، والصوفيّة ، والخوارج (٢١)، والمذاهب العقديّة تختلف عن المذاهب الفقهيّة ، إذ تُعنى بأصول الدين من التوحيد و معرفة الله تعالى والإيمان به ، وصفات الخالق ، والغيبيّات ، و القضاء والقدر ، والموقف من عصمة الأنبياء ومن الصحابة وغير ذلك . ولعلم العقيدة علاقة وطيدة بعلم العربيّة ، فطالب العلوم الشرعيّة والكلاميّة لا بدّ له من الإلمام بعلوم العربيّة ، ومعرفة لغات العرب وإعراب الكلام وحقيقته ومجازه وضروب بلاغته(٢٢)، والأمر نفسه عند علماء العربيّة الذين وقعوا تحت تأثير علم الكلام في الجانبين : التنظيريّ والتطبيقيّ ، وقد بيّن ابن جنّي هذا الترابط بين العِلمَين بقوله : " باب فيما يؤمّنه علم العربيّة من الاعتقادات الدينيّة " (٢٣). يريد بذلك أنّ التمكّن من قواعد اللغة والحيال الخصب للمفسّر يوفّر مساحة واسعة من التأويلات الاعتباطيّة ممّا يمكّنه من تغيير وجهة النصّ بشكل يلائم المعنى الاعتقاديّ المسبَق في ذهن المفسّر ، فاللغة أداة لدعم الاعتقاد ، والمُعتقَد هو المحرّك للتوظيف اللغويّ الاعتباطيّ على المستويات اللغويّة كلّها . وقد ظهر الأثر الكلاميّ في الفكر النحويّ في التنظير لأصول النحو والتعليل والعامل والمصطلحات ، وكذلك على الجانب التطبيقيّ فيما نجده في تأويلات المفسّرين والمعربين للكتاب العزيز(٢٤)، فعلماء التفسير ليسوا سواء ، فلكلّ مفسّر منهجه التفسيريّ لبيان كلام الله تعالى بما ينسجم ومعتقده ، لذا نجد الكثير من الكتب ألّفت لتسليط الضوء على مناهج المفسّرين وفق معتقداتهم(٢٥). غير أنّه يمكننا القول إنّ نسبة المفسّر إلى مذهب اعتقاديّ ما ليست دقيقة في الغالب ؛ لتعدّد الجوانب العقديّة من جهة، واختلاف موقف المفسّرين منها من جهة أخرى ، فما أن يُنسب المفسّر في جانب عقديّ معيّن إلى مذهب كلاميّ ما، نجده في جانب عقديّ آخر يكون من مذهب كلاميّ مغاير ، لذا يؤخذ بغالب أمره عند نسبته إلى المذهب الكلاميّ ، وغالبا ما يتمّ نسبة المفسّر إلى مذهبه الاعتقاديّ بالنظر إلى موقفه من مسألة الصفات الإلهيّة إثباتا ونفيا ، فمن المفسّرين من تردّد في ذلك فنفى بعض الصفات وأثبت أخرى ، فوُصِف عموما بمذهب السنّة من الأشاعرة أو المعتزلة مع تردّد في نسبته إلى السلفيّة منهم(٢٦)، والجامع لكلّ المفسّرين اهتمامهم باللغة والنحو والشعر وغريب القرآن الكريم، إلى جانب اختلافاتهم الواضحة في تأويل آي القرآن الحكيم تبعا لهذه المعتقدات الكلاميّة ممّا استدعى نقد بعضهم بعضا وردودهم على بعض ، على ما نجد في الردّ على الزمخشريّ المعتزليّ من قبل أبي حيّان الأشعري في تفسيره البحر المحيط (٢٧)، ومن التصنيفات المُبرّزة للمفسّرين ، ما ذكره صاحب كتاب : مناهج المفسّرين وعقائدهم ، إذ صنّف المفسّرين على قسمين : أهل السنّة والجماعة (السلفيّة) ، وذكر منهم : الطبريّ والبغويّ وابن كثير والسمعانيّ والقاسميّ وغيرهم ،

والقسم الآخر هم المفسّرون من الأشاعرة والمعتزلة والصوفيّة وهم أهل السنّة على العموم ، وذكر منهم : الثعلبيّ وابن عطيّة والرازيّ والقرطبيّ وأبا حيّان الأندلسيّ(٢٨)، أمّا تفاسير الإماميّة فأبرزها : تفسير الطوسيّ والطبرسيّ والطباطبائيّ . وقد تباينت مناهج المفسّرين العقديّة من مسألة عدالة الصحابة أجمعين، فمنهم من يعتقد عدالتهم أجمعين بلا استثناء ، خاصّة من كان منهم من الصدر الأوّل أي من دخل الإسلام قبل فتح مكّة ، وهم أصحاب الاتّجاه السلفيّ ، ومنهم من يعتقد عدالة أكثرهم وليس كلّ من رأى النبيّ (صلى الله عليه وآله) وصحبه ، وهم عامّة أهل السنّة ، ومن المفسّرين من يرى عدالة بعضهم وإن صاحب النبيّ (صلى الله عليه وآله) وشارك في الجهاد ضدّ الكفّار ، وهم الإماميّة وبعض الفرق الأخرى (٢٩)، وقد انعكست هذه المسألة على تأويلات المفسّرين للفظة (الثلّة) في صنف السابقين ، فإنّه لمّا جُعلت (الثلّة) وصفا للسابقين من الأوّلين وهم الأمم السالفة قبل البعثة النبويّة في مقابل صفة (القليل) في الآخرين من الصنف نفسه وهم أمّة محمّد(صلى الله عليه وآله) صار المعنى أنّ (القليل) من الصحابة يحملون صفة السبق ، وهذا ينافي القدسيّة الشاملة لهم جميعاً ، لذا نجد كثيرا من المفسّرين يتأوّلون لهذا المعنى الظاهر من الآيات القرآنيّة في سورة الواقعة بعدّة تأويلات حسب درجة الالتزام بهذا المعتقد في أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله) . ونعرض لهذه التأويلات في المطالب الآتية :

المطلب الأوّل:

ذهب أهل السنّة بصفة عامّة إلى دلالة لفظة (الثلّة)على الكثرة الكاثرة ، مع الحفاظ في الوقت نفسه على كثرة السابقين في الآخرين في عهد النبيّ (صلى الله عليه وآله)، وذلك بجعل الوصف للسابقين الآخرين بـ(قليل)، وصفا نسبيّا ، فهم جماعة كثيرة لكنّها قليلة قياسا بسابقي الأوّلين ، أي إنّ الثلّة " جماعة ممّن عاين الأنبياء وصدّق بهم ، فالذين عاينوا جميع النبيّين وصدّقوا بهم أكثر ممّن عاين النبيّ (صلى الله عليه وآله)، وذلك قوله في قصّة يونس:(وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ . فَآمَنُوا فَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ)(الصافات١٤٧–١٤٨)، هؤلاء سوى سائر من آمن بجميع الأنبياء ممّن عاينهم وصدّقهم "(٣٠)، وهو مختار الطبريّ (٣١)، وذكر الرازيّ أنّه الوجه المشهور(٣٢)، وقد استدلّوا لهذا التأويل بألفاظ دالّة على الجماعة البشريّة قيلت في تفسير لفظة (الثلّة)، وهي :

١–إنّ الثلّة بمعنى الشطر وهو النصف، وفيه يكون الثلّة نصف الأصل ، وهم جماعة كثيرة ، وروي عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) أنّه قال:إنّي لأرجو أن تكون أمّتي شطر أهل الجنّة ، ثمّ تلا قوله تعالى: (ثلة من الاولين وثلة من الاخرين) (٣٣). لكنّ تأويل الثلّة بالشطر يصطدم بالتفسير اللغويّ للجذر (ثلل) الذي يدلّ على أنّ الثلّة بعض من(كلّ)، وليست نصفا له تماما . فضلاً عن أنّ معنى الكثرة العظيمة في الثلّة لا يمكن أن يتجاوز بها الثلث من المجموع الكلّيّ لِما أقتُطِعت منه ؛ بلحاظ التعاقب الصوتيّ للثلّ الذي هو (الثلث) ، فله مدلول مقارب ، إذ الثلث سهم من ثلاثة ، أقلّ من النصف(٣٤).

٢–الثلّة بمعنى"الفئة ، قاله أبو عبيدة،ومنه قول دريد بن الصِمّة

ذريني أسير في البلاد لعلّني ألاقي لبشر ثلّة من محارب "(٣٥).

وهذا القول لم يُفرق بين الثلّة والفئة ، فقد استعمل التعبير القرآنيّ الفئة في سياق الحرب والمَنَعة ، كأنّهم يفيء بعضهم إلى بعض ، أي يجتمع بغية المعونة وطلب القوّة ، وهذا مظنّة لقوّتهم واجتماعهم ، قال العسكريّ : " الفئة في الحرب : القوم يكونون ردء المحاربين يعنون إليهم إذا حالوا ، ومنه قوله عزّ وجلّ : (أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ) (٣٦). ثمّ قيل لجمع كلّ مَن يمنع أحدا وينصره : فئة "(٣٧)، وليس معنى القوّة والمنعة ظاهر في الثلّة ، ومجيؤها بهذه الدلالة في قول دريد بن الصمّة الذي أنشده أبو عبيدة محمول على توهين أمر العدوّ فضلا عن الضرورة الشعريّة .

٣–عن مجاهد في قوله تعالى : " ثلة من الاولين" قال : أمّة(٣٨)، وأمّ الشيء أصله(٣٩)، وهو معنى أوسع من مدلول الثلّة التي تدلّ على بعض من ذلك الأصل .

٤–قال الزجاج : الثُّلَّة : الفرقة(٤٠)، ومدلول الفرقة هو أنّها " الجماعة الثانية من جماعة أكثر منها ، تقول :جاءني فريق من القوم "(٤١)، وقد ذكر التعبير القرآنيّ أنّ تفريق الناس إلى (الفرقة) و (الفريق) لا يكون إلّا بفعل فاعل ، قال تعالى : " وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا" الأحزاب ٢٦ ، أمّا الثُّلَّة فتَمَيُّزها عن المجموع يكون ذاتيًا في نفسها ، فهي فاعِل متّصف بالفعل وليس مفعولا يقع عليه الفعل كما في الفرقة ،" والثُّلَّة الجماعة تندفع في الأمر جملة ، من قولك : ثللت الخائط ، إذا نقضت أسفله فاندفع ساقطا كلّه ، ثمّ كثر ذلك حتّى سُمّي كلّ بشر ثُلّا ، ومنه : ثلّ عرشه ، وقيل : الثلل الهلاك "(٤٢).

٥–ذهب الزمخشريّ إلى أنّ الثُّلَّة : الأمّة الكثيرة من الناس دون القليلة، "، وقال :

وجاءت إليهم ثُلَّة خندفيّة بجيش كتيّار من السيل مُزبِد

و قوله عزّ وجلّ :(وقليل من الآخرين) كفى به دليلا على الكثرة "(٤٣)، فالتيّار من السيل، يدلّ على كثرة هذا الجيش المُعَبَّر عنها بالثلّة، وفهم اللاحقون من تقييد الزمخشريّ للجماعة بالكثيرة في تأويله دلالة الثُّلَّة أنّ تقييده هذا محمول على أنّه أراد به تفسير معنى القلّة في هذه الآية، لا تفسير الكلمة في اللغة، والكثرة التي فهمها الزمخشريّ قد تكون من السياق(٤٤)، واستظهر الآلوسيّ أن يكون البيت الذي أنشده الزمخشريّ شاهدا لمعنى الكثرة في الثُّلَّة محمولا على مقام المبالغة والمدح ، ولكنّ الآلوسيّ أنِس باستدلال الزمخشريّ بسياق التعبير القرآنيّ الذي ذكر (قليل) قبال (الثُّلَّة) وهذا " التقابل مطلوب ؛ لأنّ الثُّلّة لم توضع للقليل بالإجماع حتّى يُحمَل ما بعدها على التفنّن بل هي إمّا للكثرة ، والاشتقاق عليها أدلّ ؛ لأنّ الثلّ بمعنى الصبّ وبمعنى الهدم بالكلّيّة ، والثِلّة بالكسر الصأن الكثيرة ، وإمّا لمطلق الجماعة كالفرقة والقطعة ، من الثلّ بمعنى الكسر ، كأنّها جماعة كُسِرت من الناس وقُطِعت منهم ، إلّا أنّ الاستعمال غلب على الكثير فيها ، فالمعنى جماعة كثيرة من الأوّلين وهم الناس المتقدّمون من لدن آدم (عليه السلام) إلى نبيّنا(صلى الله عليه وآله)، وعلى مَن بينهما من الأنبياء العظام " (٤٥)، ورأي الزمخشريّ الذي تلقّفه المفسّرون يحلّ إشكال قلّة الصحابة من صنف السابقين ؛ لأنّه يقرّر النسبية ، فجعلوا (القليل) في صفة الآخرين دالّ على الجماعة الكثيرة ؛ لأنّه في مُقابل جماعة أكثر منها بأضعاف في الأوّلين ، وهذا التأويل محلّ نظر ، فالثلّة وإن كانت في الاستعمال اللغويّ دالّة على الجماعة الكثيرة فذلك مقيّد بمعنى الاقتطاع ، أي الجماعة المُقتطَعة من أكبر منها ممّا يشمل كل المخلوقين من عصر آدم (عليه السلام) إلى عصر النبوّة ، ويقابله الاقتطاع في السابقين من الآخرين بلفظ (القليل) ، فهو قليل مُقتطَع من كثير أيضا ، ولو أريد من النسبيّة كثرة السابقين في الآخرين لعُبّر عن هذا بلفظ الثُّلَّة على نحو ما حصل في المقابلة النسبيّة بين الأوّلين والآخرين في صنف أصحاب اليمين في قوله تعالى في السورة نفسها :(ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ، وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ)(الواقعة ٣٩–٤٠)، فهما ثلّتان لكنّ أحداهما أكبر من الأخرى ، فالثُّلَّة " تتناول العدد الكثير ، وقد يكون أحد العددين الكثيرين أكثر من الآخر، مع أنّهما كلاهما كثير " (٤٦).

المطلب الثاني :

نظر أصحاب هذا الرأي إلى الأصل المعجميّ للثُّلَّة وأنّها ممكن أن تكون قليلة او كثيرة او أكثر من ذلك بما لا يتجاوز الثلث على وفق ملازمها الأصليّ الذي اقتُطعت منه ، ولم يلتفت هذا الرأي إلى الاستعمال اللغوي الشائع للثُّلَّة الذي جرى في الكثرة دون القلة ، وهذا التأويل مفهوم من تفسير الفرّاء للثُّلَّة بأنّها الفرقة من غير أن يصفها بكثرة أو قلّة (٤٧)، قائلا في تفسير صنف أصحاب اليمين : "ثلّة من هَؤُلاءِ، وثلّة من هَؤُلاءِ ، والمعنى: هم فرقتان: فرقة من هَؤُلاءِ، وفرقة من هؤلاء(٤٨)، وأجازه الزجّاج بقوله : " ويجوز أن تكون الثُّلَّة بمعنى قليل من الأوّلين وقليل من الآخرين؛ لأنّ اشتقاق الثُّلّة من القطعة ، والثلّ : الكسر والقطع " (٤٩)، واختاره الراغب ، فرأى أنّ الثُّلَّة " تعني في الأصل قطعة مجتمعة من الصوف، ثمّ تحوّلت إلى معنى مجموعة من الأشخاص ، ولاعتبار الاجتماع قيل: " ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ" ، أي : جماعة ، وثللت كذا : تناولت ثُلَّة منه " (٥٠)، أي إنّه فسّر الثُّلَّة بالجماعة من غير قيد بقلّة ولا كثرة (٥١)، ومع أنّ هذا التأويل يجعل (القليل) في صنف السابقين من الآخرين مقبولاً إذا ما قورن بالجماعة القليلة من الصنف نفسه من الأوّلين إلّا أنّ القدح بالصحابة ما زال قائماً

عندهم ؛ لأنّ السابقين منهم قلّة وهذا يخالف معتقدهم بقدسيّة جميع الصحابة أو أغلبهم ، لذا لجأ الفرّاء وهو من السلفيّة المتقدّمين(٥٢). إلى جبر هذه القلّة في سابقي الصحابة بالكثرة التي وُصِف بها الصحابة من صنف أصحاب اليمين في قوله تعالى: (ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ)(الواقعة ٣٩–٤٠)، قائلاً:"وقوله هاهنا:(ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ)، وَقَدْ قَالَ فِي أول السُّورة: (ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ)، وذكروا أن أصحاب رَسُول الله(صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآله وَسَلَّمَ). بكوا وشقّ عليهم قوله: (وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ) ، فأنزل الله جلّ وعزّ هَذِهِ (ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ، وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ)" (٥٣)، وهذا الخبر مرويّ عن أبي هريرة في نسخ قلّة السابقين من الصحابة بكثرتهم في أصحاب اليمين ، إذ روي عنه " أنّه لمّا نزلت:(ثلّة من الأوّلين و قليل من الآخرين) شقّ ذلك على أصحاب النبيّ (صلى الله عليه وآله)، وحزنوا وقالوا : إذن لا يكون من أمّة محمّد إلّا قليل ، فنزلت نصف النهار : " ثلّة من الأوّلين . وثلّة من الآخرين "، فنسخت : " وقليل من الآخرين" (٥٤)، وأكثر الإشارات إلى هذه الرواية قرنت وجود النسخ في هذا الموضع بموافقات التنزيل العزيز لعمر بن الخطّاب(٥٥). الذي حزن لمّا سمع : (قليل من الآخرين) بعد (ثلّة من الأوّلين) ، ففي الدرّ المنثور ، أخرج عن جابر بن عبد الله قال :"لمّا نزلت (إذا وقعت الواقعة) ، ذُكر فيها (ثلّة من الأوّلين ، وقليل من الآخرين). قال عمر : يا رسول الله : ثلّة من الأوّلين وثلّة من الآخرين ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله):يا عمر تعال فاستمع ما قد أنزل الله:(ثلّة من الأوّلين،وثلّة من الآخرين) (٥٦)، ولا نعرف كيف تُجعَل الثلّة مع أصحاب اليمين دالّة على الجماعة الكثيرة ، ومع السابقين دالة على الجماعة القليلة ! ، ولم يحظ حديث النسخ هذا بالقبول من عدّة جهات حتّى خلا تفسير الطبريّ –وهو من السلفيّين الأوائل المهتمّين بإيراد الروايات– من ذكر هذا الخبر في تفسيره ، وقد ضُعِّف ادّعاء النسخ ها هنا من وجوه: أحدها(٥٧): " أنّ علماء الناسخ والمنسوخ لم يوافقوا عليه ، والثاني : أنّ الكلام في الآيتين خبر، والخبر لا يدخله النسخ ، والثالث : أنّ الثلّة بمعنى الفرقة والفئة ، قال الزجّاج : اشتقاقهما من القِطعة ، والثلّ : الكسر والقطع ، فعلى هذا يجوز أن تكون الثلّة في معنى القليل " (٥٨)، وزاد الزمخشريّ تضعيفا آخر من قرينة العطف بين الصنفين ، لأنّه " إن قُلتَ : فقد روي أنّها لمّا نزلت شقّ ذلك على المسلمين ، فما زال رسول الله (صلى الله عليه وآله). يراجع ربّه حتّى نزلت (ثلّة من الأوّلين ، وثلّة من الآخرين) ، قُلتُ : هذا لا يصحّ لأمرين : أنّ هذه الآية واردة في السابقين ورودا ظاهرا ، وكذلك الثانية في أصحاب اليمين ، ألا ترى كيف عطف أصحاب اليمين وَ وعدهم ، على السابقين ووعدهم ؟ الثاني : أنّ النسخ في الأخبار غير جائز "(٥٩)، وحاول بعض خالفي الزمخشريّ ردّ تضعيفه للحديث بأنّ المراد بالنسخ فيه يُمكن أن يُحمل على أنّ الصحابة لمّا سمعوا الآية الأُولى حسبوا أنّ الأمر في هذه الأمّة يذهب على هذا النهج ، فيكون أصحاب اليمين ثلّة من الأوّلين وقليلا منهم ، فيكون الفائزون بالجنّة في هذه الأمّة أقلّ منهم في الأمم السالفة ، فنزلت: (ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ)، فزال حزنهم ومعنى نسخ الآية إزالة حسبانهم المذكور ، وليس النسخ المذكور في قول أبي هريرة بالمعنى الاصطلاحيّ المتعارف عليه بين علماء التفسير(٦٠)، وقال الآلوسيّ في الردّ على تضعيف الزمخشريّ : " قد يتعقّب ما ذكره الزمخشريّ بأنّ الحديث قد صحّ ، وورود الآية الأولى في السابقين والثانية في أصحاب اليمين لا يردّ مقتضاه فإنّه يجوز أن يقال: إنّ الصحابة رضي الله تعالى عنهم لمّا سمعوا الآية الأولى حسبوا أنّ الأمر في هذه الأمّة يذهب على هذا النهج فيكون أصحاب اليمين ثلّة من الأولين وقليلا منهم فيكثرهم الفائزون بالجنّة من الأمم السوالف فحزنوا لذلك فنزل قوله تعالى في أصحاب اليمين:(ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ)، وقال لهم النبي(صلى الله عليه وآله). ما قال ممّا أذهب به حزنهم وليس في هذا نسخ للخبر كما لا يخفى " (٦١)، وخلص ابن عاشور إلى أنّ " هذا الحديث مُشكِل ومجمل فإنّ هنا قسمين مشتبهين ، والآية التي فيها (وثلّة من الآخرين)، ليست واردة في شأن السابقين ، فليس في الحديث دليل على أنّ عدد أهل مرتبة السابقين في الأمم الماضية مساو لعدد أهل تلك المرتبة في المسلمين، وأن قول أبي هريرة: فنسخت وقليل من الآخرين ، يريد نسخت هذه الكلمة. فمراده أنها أبطلت أن يكون التفوّق مطردا في عدد الصالحين فبقي التفوّق في العدد خاصّا بالسابقين من الفريقين دون الصالحين الذين هم أصحاب اليمين، والمتقدّمون يطلقون النسخ على ما يشمل البيان فإنّه مورد آية: (ثلّة من الأولين وثلّة

من الآخرين) في شأن صنف أصحاب اليمين، ومورد الآية التي فيها: (وقليل من الآخرين) هو صنف السابقين فلا يتصوّر معنى النسخ بالمعنى الاصطلاحيّ مع تغاير مورد الناسخ والمنسوخ ولكنّه أريد به البيان وهو بيان بالمعنى الأعمّ " (٦٢)، ويُضعّف النسخ أيضا أنّ التعبير القرآنيّ واضح بأنّ سياق(ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الْآخِرِينَ)مرفوع على الاستئناف (٦٣)، فلا علاقة لهذا السياق بسياق السابقين الذين هم فرقتان ، أحدهما ثلّة والأخرى قليل فهما " في جماعتين مختلفتين "(٦٤)، وبهذا لا شبهة ولا تعارض بين الآيتين تستدعي القول بالنسخ(٦٥).

المطلب الثالث:

أنكر الغلاة مِن السلفيّة ومَن تبعهم على معتقدهم حول مسألة تقديس الصحابة التأويلين السابقين لمّا رأوا أنّ القول بالنسبيّة أو بالنسخ لا يدفعان عن الصحابة من صنف السابقين وصفَهم بالقلّة ، لذا لجؤوا إلى التأويل الاعتباطيّ للفظتي : (الأوّلين) و (الآخرين)، مع الحفاظ على دلالة الثُّلّة على الكثير على وفق الشائع في الاستعمال اللغويّ ، فذهبوا إلى أنّ المراد بـ(الأوّلين) صدر هذه الأمّة ، وبـ (الآخرين) مَن هم مِن هذه الأمّة (٦٦)، خلافا لجمهور المفسّرين(٦٧)، ولظاهر الآيات وقرائن السياق ، "والغرض أنّ هذه الأمّة أشرف من سائر الأمم ، والمُقرّبون فيها أكثر من غيرها وأعلى منزلة ؛ لشرف دينها وعظم نبيّها "(٦٨)، مع أنّ تميّز هذه الأمّة على سائر الأمم في كثرة المؤمنين منها يأتي من أصحاب اليمين ، وليس من السابقين (٦٩)؛ وذلك لندرة السابقين على ما تثبته الدلائل اللغويّة والسياقية فيما سيأتي إن شاء الله تعالى . فأصحاب هذا المذهب العقديّ أخرجوا سائر الأمم من التصنيف الثلاثيّ للبشريّة يوم القيامة، وحصروه بالأمة الخاتمة ، ثمّ اختلفوا في تحديد الأوّلين والآخرين من هذه الأمّة على رأيين رئيسين :

الأوّل : إنّ (الأوّلين) هم الصحابة ، و(الآخرين). من هذه الأمّة في آخر الزمان وهذا مرويّ عن أبي العالية ومجاهد وعطاء بن أبي رباح والضحّاك (٧٠)، وهو اختيار الزّجاج(٧١)، وعُضّد بما روي مرفوعا عن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس عن النبيّ (صلى الله عليه وآله). أنّه قال في قوله تعالى:(ثُلَّة من الأوّلين . وثلّة من الآخرين) : " هما جميعا من أمّتي " (٧٢)، وروي هذا –أيضا– عن أبي بكر في قوله: "كلا الثلّتين من أمّة محمّد (صلى الله عليه وآله)، فمنهم من هو في أوّل أمّته ، ومنهم من هو في آخرها " (٧٣)، وأنس أبو حيّان بهذا الوجه ، فقال: "جاء في الحديث: (الفرقتان من أمّتي) ، فسابق أوّل الأمّة ثلّة ، وسابق سائرها إلى يوم القيامة قليل " (٧٤)، ورُوي عن عائشة –أيضاً– " أنّها تأوّلت الفرقتين في أمّة كلّ نبيّ ، وهي في الصدر(ثلّة)، وفي آخر الأمّة (قليل)"(٧٥)، و" على هذا يكون الخطاب في قوله عزّوجلّ:(وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً)(الواقعة ٧)، لهذه الأمّة فقط "(٧٦)، فالمراد بالأوّلين " هم الأوّلون من المهاجرين والانصار ، وقليل من التابعين ، وهم الذين اتّبعوهم بإحسان " (٧٧)، وهم" الذين قال الله تعالى فيهم :(وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم)(الطور ٢١)، فالمؤمنون وذرّيّاتهم إن كانوا من أصحاب اليمين فهم في الكثرة سواء ؛ لأنّ كلّ صبيّ مات وأحد أبويه مؤمن فهو من أصحاب اليمين ، وأمّا إن كانوا من المؤمنين السابقين ، فقلّما يُدرك وَلَدهم درجة السابقين " (٧٨).

الثاني: إنّ الأوّلين والآخرين من أصحاب نبيّنا(صلى الله عليه وآله)، أي إنّ " السابقين : الأوّلون من المهاجرين والأنصار وقليل ممّن جاء بعدهم ؛ لعجز المتأخّرين أن يلحقوا الأوّلين ، فقليل منهم مَن يقاربهم في السبق " (٧٩)، فالثلّة من الأوّلين يراد منها ما في قوله تعالى:(وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ)(التوبة ١٠٠)، وذلك لأنّ " أكثرهم لهم الدرجة العليا ؛ لقوله تعالى: (لا يستوي منكم من أنفق)(الحديد ١٠ الآية)، و(قليل من الآخرين) : الذين لم يلحقوا بهم مِن خَلفهم " (٨٠)، وهذا الرأي يُضيّق النطاق على بقيّة المسلمين ممّن ليسوا من الصحابة ولم يرَوا النبيّ (صلى الله عليه وآله)، فلا مجال لهم في السبق أو في أصحاب اليمين، فضلا عن أنّ آية سورة الحديد ليست دالّة على السبق ، وإنّما على الاستواء في الإنفاق ، وهو لا يُحرز السبق ؛ لأنّه أمر خفيّ ، ومنه ما يكون نفاقا ، فلا يُعلَم إلّا بإظهار إلهيّ ، قال تعالى :(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ)(سورة البقرة ٢٦٤)، والإخلاص في الإنفاق صدح به القرآن في قوله تعالى في سورة البقرة الآية ٢٧٤: (الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ

رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) وهي نازلة في عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) (٨١)، وفضلاً عن ذلك فقد جمعت الآية المباركة إلى الإنفاق القتالَ في سبيل الله ، أي الثبات أمام العدوّ ، ومعلوم فرار كثير ممّن آمن قبل الفتح في أحد وحنين وغيرها ، فضلاً عن فرار بعض من أنفق قبل الفتح وذهابه بما عريضة (٨٢)، ونلحظ ممّا تقدّم أنّ اعتماد السلفيّة في تأويلهم هذا، على آية سورة التوبة ؛ ذلك أنّهم عَدّوا (مِن) فيها لبيان الجنس وليس للتبعيض(٨٣)، فجعلوا المهاجرين والأنصار كلّهم سابقين، ولزمهم من هذا أن ينسحب جنس المهاجرين والأنصار إلى صنف السابقين في سورة الواقعة ، لذا عدّوهم (ثلّة)، ومَن تأخّر منهم في الإسلام هو (القليل)، وتأوُّلهم (مِن) في سورتي : الواقعة والتوبة ببيان الجنس يناقض ما استقرّ في المدوّنة النحويّة(٨٤). في التمييز بين أنواعها ، فالتي لبيان الجنس تكون غالبا مسبوقة بـ(ما) النافية ، أو (مهما) ؛ لاستغراق النفي ، وهذا غير متوفّر في الآيتين، ونستطيع أن نذكر ضابطا آخر في دلالة (مِن) على بيان الجنس أنّه لا بدّ في مجرورها من احتماله للأجناس ، فتأتي (مِن) لبيان وتوضيح الجنس المراد ، كما في : خاتمٍ من حديد ، فهي لبيان الجنس ؛ لاحتمال صنع الخاتم من أجناس أخرى غير الحديد ، وفي آية سورة التوبة الكلام عن جنس واحد من المؤمنين هم السابقون الأوّلون ، فـ (مِن) فيها للتبعيض ، ولا تصحّ لبيان الجنس . وقد تمسّك أصحاب هذا التأويل بمعتقدهم ، فضعّفوا رأي الجمهور على ما صرّح به الإمام ابن كثير بقوله: " وقد اختلفوا فِي الْمُرَادِ بِقَوْلِهِ: (الْأَوَّلِينَ)، و (الْآخِرِينَ) . فَقِيلَ: المرادُ بِالْأَوَّلِين : الْأُمَمُ الْمَاضِيَةُ، وَالْآخِرِين : هذه الأمّة . وهو اختيار ابن جرير ، واستأنس بقوله (صلى الله عليه وآله):(نَحْنُ الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) (٨٥). وَلَمْ يحك غيره ولا عزاه إلى أحد ... وهذا الذي اختاره ابن جرير ها هنا فيه نظر ، بل هو قول ضعيف ... فالقول الثاني في هذا المقام هو الراجح ، وهو أن يكون المراد بقوله : (ثلّة من الأوّلين) ، أي : من صدر هذه الأمّة ، (وقليل من الآخرين)، أي : من هذه الأمّة قال ابن أبي حاتم : حدّثنا الحسن بن محمّد بن الصباح ، حدّثنا عفّان ، حدّثنا عبد الله بن بكر المُزنيّ ، سمعت الحسن أتى على هذه الآية : (والسابقون السابقون ، أولئك المقرّبون) ، فقال : أمّا السابقون فقد مضَوا ، ولكن اللهم اجعلنا من أهل اليمين "(٨٦)، ونجد أنّ بعض من اعتقد بمسألة تقديس الصحابة اعتمد رأي الجمهور في أنّ الأوّلين يُراد بهم الأمم السالفة ، والآخرين لهذه الأمّة ، غير أنّه حصر القليل من الآخرين بالصحابة الأوائل دون من تلاهم اعتمادا على وقت نزول آية سورة التوبة ، يقول ابن عاشور : " فالسابقون طائفتان : طائفة من الأمم الماضية ومجموع عددها في ماضي القرون كثير ، مثل أصحاب موسى (عليه السلام) الذين رافقوه في التيه ، ومثل أصحاب أنبياء بني إسرائيل ، ومثل الحواريّين ، وطائفة قليلة من الأمّة الإسلاميّة وهم الذين أسرعوا للدخول في الإسلام وصحبوا النبيّ (صلى الله عليه وآله). كما قال تعالى: "والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار "(التوبة ١٠٠)، وإذ قد كانت هذه الآية نزلت قبل الهجرة فهي لا يتحقّق مفادها إلّا في المسلمين الذين بمكّة " (٨٧)، ويفهم من كلامه هذا أنّ السبق منتفٍ عن الأنصار ومقتصر على المهاجرين بما يتناقض مع استدلاله بآية سورة التوبة . وحاول ابن تيمية أن يُقحم كلّ من آمن قبل الفتح في صنف السابقين مُسبغا عليهم صفة الإنفاق ، قائلاً: " والسابقون الأوّلون هم الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا ، الذين هم أفضل ممّن أنفق من بعد الفتح وقاتل ، ودَخل فيهم أهل بيعة الرضوان وكانوا أكثر من ألف وأربعمئة ، فكيف يُقال : إنّ سابق هذه الأمّة واحد" (٨٨)، فهو يُدخل كلّ من آمن قبل الفتح مع السابقين استدلالا بآية سورة التوبة ،وهم ألف وأربعمئة ، ويستدلّ بآية الإنفاق على السابقين ثمّ يستبعد أن يكون السبق بمجرّد الدخول في الإسلام ، قائلاً: " الآية فضّلت السابقين الأوّلين ولم تدلّ على أنّ كلّ من كان سبق إلى الإسلام كان أفضل من غيره ، وإنّما يدلّ على أنّ السابقين أفضل قوله تعالى : (لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى) ، فالذين سبقوا إلى الإنفاق والقتال قبل الحديبية أفضل ممّن بعدهم ، فإنّ الفتح فسّره النبيّ (صلى الله عليه وآله). بالحديبية "(٨٩)، ونراه يتناقض في أقواله ففي المورد نفسه يُقرّ بنفي الإنفاق عن الصحابة الأوائل ، ويُصرّح بأنّ المعوّل عليه في السبق ليس الإنفاق، قائلاً :"قد يَسْبِق إلى الإسلام مَن سَبَقَهُ غَيْرُه إلى الإنفاق

والقتال ، ولهذا كان عُمَر (رضي الله عنه) ممّن أسلم بعد تسعة وثلاثين ، وهو أفضل من أكثرهم بالنصوص الصحيحة ... وما علمت أحدا قطّ قال : إنّ الزبير ونحوه أفضل من عمر ، والزبير أسلم قبل عمر ، ولا قال مَن يُعرف مِن أهل العلم : إنّ عثمان أفضل من عُمر ، وعثمان أسلم قبل عمر" (٩٠)، وثابت أنّ عثمان هو من أنفق لا عُمَر .

وقد تابع ابن عاشور رأي الجمهور في توجيه دلالة (الأوّلين) و (الآخرين) ونأى عن تأويل أقرانه من السلفيّة ؛ للضعف الواضح في استدلالاتهم اللغويّة والاجتهاديّة ، فثمّة مآخذ كثيرة على ما تأوّلوا ، وهي :

١–مخالفة هذا الاتّجاه لظاهر الآيات القرآنيّة في السورة المباركة ، فاستدلالهم بالحديث المرويّ عن ابن عبّاس من أنّ الثلّتين " جميعا من أمّتي "يجعل الخطاب في قوله –عزّ وجلّ– :(وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً). لهذه الأمّة فقط ، وهو ما استظهره الرازيّ بقوله : " وعلى هذا فقوله:(وكنتم أزواجا ثلاثة)(الواقعة ٧)، يكون خطابا مع الموجودين وقت التنزيل ، ولا يكون فيه بيان الأوّلين الذين كانوا قبل نبيّنا(صلى الله عليه وآله)، وهذا ظاهر، فإنّ الخطاب لا يتعلّق إلّا بالموجودين من حيث اللفظ ، ويدخل فيه غيرهم بالدليل "(٩١)، وهذا ضعيف ؛ لأنّ تاء الخطاب للأمّة الخاتمة في التعبير القرآنيّ يراد بها كل الخَلق ، على نحو قوله تعالى:(أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ)(الواقعة: ٧١)، وقوله تعالى:(فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ . تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ)(الواقعة:٨٦–٨٧)، وقوله تعالى: (هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ)(الأعراف: ١٨٩)، وغير ذلك ممّا خوطبت به هذه الأمّة وهو لعموم الناس، ويضاف إلى ذلك أنّ عموم الخطاب في سورة الواقعة واضح من تسميتها الدالّة على يوم القيامة ، ومن وصف الجنّة والنار ومَن يكون فيهما . ولذلك نجد مِن متأخّري السلفية من فطن لهذه الأدلّة البيّنة ، ورضي بقلّة الصحابة من السابقين وكثرتهم من أصحاب اليمين للفرق بين الفاضل ومن هو أفضل منه ، قائلا : " ظاهر القرآن في الأمور الثلاثة ، التي هي شمول الآيات لجميع الأمم، وكون قليل من الآخرين في خصوص السابقين، وكون ثلّة من الآخرين في خصوص أصحاب اليمين لأنه واضح من سياق الآيات ، أمّا شمول الآيات لجميع الأمم فقد دلّ عليه أوّل السورة، لأنّ قوله : (إذا وقعت الواقعة) إلى قوله : (فكانت هباء منبثا) لا شكّ أنّه لا يخصّ أمّة دون أمّة، وأنّ الجميع مستوون في الأهوال والحساب والجزاء، فدلّ ذلك على أن قوله :(وكنتم أزواجا ثلاثة) عامّ في جميع أهل المحشر، فظهر أنّ السابقين وأصحاب اليمين منهم من هو مِن الأمم السابقة، ومنهم من هو من هذه الأمّة. وعلى هذا فظاهر القرآن أنّ السابقين من الأمم الماضية أكثر من السابقين من هذه الأمّة، وأنّ أصحاب اليمين من الأمم السابقة ليست أكثر من أصحاب اليمين من هذه الأمّة، لأنّه عبّر في السابقين من هذه الأمّة بقوله: وقليل من الآخرين وعبّر عن أصحاب اليمين من هذه الأمّة :وثلّة من الآخرين ، ولا غرابة في هذا، لأنّ الأمم الماضية أمم كثيرة، وفيها أنبياء كثيرة ورسل، فلا مانع من أن يجتمع من سابقيها من لدن آدم إلى محمد(صلى الله عليه وآله). أكثر من سابقي هذه الأمّة وحدها .أمّا أصحاب اليمين من هذه الأمّة فيحتمل أن يكونوا أكثر من أصحاب اليمين من جميع الأمم، أنّ الثلّة تتناول العدد الكثير، وقد يكون أحد العددين الكثيرين أكثر من الآخر، مع أنّهما كليهما كثير، ولهذا يُعلم أنّ ما دلّ عليه ظاهر القرآن واختاره ابن جرير لا ينافي ما جاء من أنّ نصف أهل الجنّة من هذه الأمّة "(٩٢).

٢–تفسير (الأوّلين)بصدر الأمّة الأخيرة اعتمادا على التفسير الموضوعيّ ، بالتنظير لها بما في(سورة التوبة ١٠٠): (وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ)، لا يستقيم لأصحاب هذا المعتقد ؛ لأنّ التعبير القرآنيّ مطّرد في استعمال (الأوّلين) للأمم السالفة ، فالمحصّل من البيان القرآنيّ استعماله (الأوّلون) في الأمم الماضية ، و(الآخرين) في هذه الأمّة ، ومنه قوله تعالى:(وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ . أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ . قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ . لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ)(الواقعة ٤٧–٥٠)، فالأوّلون متى أُطلقت في التعبير القرآنيّ دلّت على الأمم المتقدّمة ، ولا تظهر دلالتها على فريق من المتأخّرين إلّا بقرينة لفظيّة ،كما في قوله تعالى :(وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ) (التوبة ١٠٠)، فهذه الآية بالضدّ من استدلالهم ؛ لتضمّنها قرينتي : الهجرة والنصرة ، وإطلاق ما في سورة الواقعة من

قيد القرينة الخاصّة، وكذا فإنّ" الأوّليّة أمر نسبيّ يبيّنه سياق الكلام حيثما وقع ، فالظاهر أنّ (الأوّلين) هنا مراد بهم الأمم السابقة قبل الإسلام بناء على ما تقدّم من أنّ الخطاب في قوله:(وكنتم أزواجا ثلاثة)(الواقعة ٧) ، خطاب لجميع الناس بعنوان أنّهم ناس ؛ لأنّ المنقرضين الذين يتقدّمون من أمّة أو قبيلة أو أهل نحلة يُدعَون بالأوّلين ... وقال تعالى:
(أَوَ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ) الواقعة ٤٨ ، الذين هم يخلفونهم ويكونون موجودين أو في تقدير الموجودين يُدعَون الآخرين . وقد وُصِف أهل الإسلام بالآخرين في حديث فضل الجمعة : " نحن الآخِرون السابقون يوم القيامة بيد أنّهم أوتوا الكتاب من قبلنا "(٩٣).

٣–التأويلات المُتكلّفة لنزع صفة القلّة عن السابقين من الآخرين تُلغي التميّز في صنف السابقين وتقضي على الخصوص فيه ؛ لأنّها تجعل كلّ من دخل الإسلام ورأى النبيّ(صلى الله عليه وآله). من السابقين بمجرّد هذين الأمرين ، وهو ما نجده في تعبيرات المفسّرين من نحو : عاينَ النبيّ أو دخل في الإسلام (٩٤). من ذلك قولهم: " لأنّ الذين عاينوا الأنبياء أجمعين وصدّقوا بهم أكثر ممّن عاين نبيّنا وصدّق به " (٩٥)، مع أنّ بعض من دخل الإسلام من أهل الهجرة ارتدّ فكان مع أصحاب المشأمة(٩٦)، وبعضده حديث النبيّ (صلى الله عليه وآله) : " من كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يُصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته لما هاجر إليه "(٩٧)، ومن ذلك ما استدلّوا به على كثرة السابقين إلى نبيّ واحد(٩٨)، وهو يونس (عليه السلام) ، وأنّ عددهم بلغ مئة ألف أو يزيدون ، مع أنّ هؤلاء الكثيرين لم يؤمنوا أصلا بنبيّهم بل عاندوا وعصوا حتى اضطرّه ذلك إلى مغاضبتهم وتركهم ، فأين السبق منهم ! وإنّما السبق يكون بإخلاص العبوديّة لله ولطاعة أنبيائه ، لذا هم مُقرّبون وهم " النمط الأعلى من أهل السعادة كما يشير إليه قوله تعالى : (والسابقون السابقون أولئك المقرّبون)، ولا يتمّ ذلك إلّا بكمال العبوديّة ، كما قال:
(لن يستنكف المسيح أن يكون عبدا لله ولا الملائكة المقرّبون) (النساء: ١٧٢)، ولا تكمل العبوديّة إلّا بأن يكون العبد تحت ولاية الله فهؤلاء أولياء الله " (٩٩)، وقد نقل القرطبيّ عن ابن العربيّ أنّ " السبق يكون بثلاثة أشياء : الصفة وهو الإيمان ، والزمان ، والمكان ، وأفضل هذه الوجوه سبق الصفات " (١٠٠)، وإنّ التميّز في صنفٍ ما هو أمارة قلّته وتفرّده (١٠١) ، وقرائن التميّز لهذا الصنف تصدح بها آيات سورة الواقعة على كلّ المستويات : بناء وإعرابا ومعجما وبيانا، " لذا هم في غاية القلّة " (١٠٢)، ولنا أنّ نذكرها على النحو الآتي :

أ–المعنى المعجميّ للفظة (السابقون) يُشير إلى التفرّد عن المجموعة ؛ لأنّ السابق هو المتقدّم على غيره ، وهو يحتاج إلى مسبوق يكون لاحقا به ومفضولاً، خلافا للفظة (الأوّل) التي تشير إلى ثانٍ بلا ملازمة لوجود الثاني أو استدعاء المفاضلة ، وإنّما تعني التقدّم الزمنيّ ،" لأنّ الأوّل هو الذي تقدّم في صفة ما كالوجود أو الأحوال على غير الذي هو الآخِر أو الثاني " (١٠٣)، فالسابق لا ثاني له يشترك معه في التقدّم ، وإنّما هو المتفوّق على غيره ، وإنّما تَعدُّد السابقين بتعدد مجموعات السبق ،كالقبائل أو العصور ، أو الأجناس ، لذا نرى أنّ لفظة (الأوّلين)في آية سورة التوبة دالّة على طبقات السبق لا على التقدّم الزمنيّ في الدخول للإسلام والهجرة ، فهم السابقون من قبائلهم ، ولا ثاني لهم في طبقتهم ، بل من يأتي ثانيا هو تابع للسابق ولاحق به في الإخلاص ، لذا عُطِف عليهم بجملة (ومَن تبعهم) ، أي سار على هديهم لم يحِد عنه ، بياء الإلصاق في (بإحسان) ، فالتابعون ليسوا مَن جاء بعد عصر الصحابة ، وإنّما هم من تبع السابقين من الصحابة المعاصرين لهم وبعد زمانهم (١٠٤)، وتزداد هذه اللفظة تميّزا باشتقاقها من المجرّد الدالّ على تفرّد فاعِلها في هذا الحدث بلا منازع ، إذ لم ترِد من باب المُفاعلَة ، فلم يقل : مسابقين غيرهم، ولذا يضعف توجيه بعضهم لهذه اللفظة بمعنى المغالبة ؛ إذ لا طرف ثانيا في السبق (١٠٥)، وكذا قوله تعالى: (أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ)(المؤمنون ٦١)، فالمسارعة على (فاعَل) بمعنى المبالغة لا الاشتراك ، والسبق للخيرات لأنّها الغاية منه ، فهم " سابقون أمثالهم من المحسنين الذين عبّر عنهم بأصحاب الميمنة ، فهم سابقون إلى الخير "(١٠٦). بلا مسابقة ، أي بلا طرف آخر يذكر إلى جانبهم، وقد عُبّر عن أصحاب هذا الصنف بالجمع السالم لقلّتهم ، لأنّ الجمع السالم يدلّ على القلّة عموما (١٠٧)، وقد شُغِل المفسّرون بتحديد غاية السبق

لمّا رأوا حذف متعلّق السابقين ، فاختلفوا فيه على أقوال هي(١٠٨): عن مقاتل وعكرمة إنّهم السابقون إلى الإيمان ، وعن ابن عبّاس أنّهم السابقون إلى الهجرة ، وعن الضحّاك أنّهم السابقون إلى الجهاد ، وعن سعيد بن جبير أنّهم السابقون إلى التوبة وأعمال البرّ ، واستدلّ بقوله تعالى :(سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ) الحديد ٢١ ، مع أنّ المشتقّ من هذه الآية على المفاعلة : مُسابق وليس سابقا، وروي عن عثمان ابن أبي سودة أنّهم السابقون إلى المساجد ، وعن ابن سيرين أنّهم الذين صلّوا القبلتين ، وعن كعب أنّهم أهل القرآن ، وعن الربيع بن نس أنّهم السابقون إلى الجنّة ، وعن ابن كيسان أنّهم السابقون إلى كلّ ما دعا الله إليه ، ووصف بالأولى لأنّه يعمّ الجميع على ما هو ظاهر ، وعن عليّ (عليه السلام) أنّهم السابقون إلى الصلوات الخمس ، ولم أتبيّن هذا الوجه مأثورا في كتب علماء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) ، ويبدو أنّه سبق لعضد مسألة نسخ (ثلّة من الأوّلين . وقليل من الآخرين) بـ (ثلّة من الأوّلين . وثلّة من الآخرين)، وواضح أنّ السبق المذكور في هذه الآية حُذِفت غايته للعلم بها ، وهي جنّة الله تعالى والفوز في الآخرة ، فهذا مصداق للعبوديّة الحقّة التي خلق الله تعالى البشر لأجلها ، والأولى أن لا يُعنى المفسّرون بتقدير الغاية ، بل بتقدير العمل الموصل إلى تلك الغاية ، وهذا العمل يُعدّى إليه فعل السبق بالباء الملاصقة لا (إلى) الغائيّة ، يُقال : سبق فلان أقرانه إلى النجاح بالجدّ والمثابرة ، وكذا التقدير في الآية : سبق المُقرّبون الناسَ إلى الجنّة بإيمانهم ، واختار البيضاويّ أن يكون (السابقون) " الذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة بعد ظهور الحقّ من غير تلعثم وتوانٍ "(١٠٩).

ب–إنّ إعراب لفظة (السابقين) نصّ في تميّز هذا الصنف وتفرّده فهو من الشهرة ما لا يحتاج إلى الإخبار عنه إلّا به ، وهو الوجه المختار لدى المفسّرين (١١٠). في توجيه إعراب اللفظة التي ذُكِر لها أربعة أوجه، اثنان منها مُتكلّفة مشحونة بالتقديرات البعيدة ، والآخران ينصّان على تميّز السابقين، مع تفاوت بين الوجهين في درجة تميّز هذا الصنف ، وهذه الأوجه هي :

الوجه الأوّل : أن يكون السابقون الثاني تأكيدا للأوّل تأكيدا لفظيّا، و(أولئك المقرّبون) جملة ابتدائيّة في موضوع خبر الأوّل ، والرابط اسم الإشارة ، كقوله تعالى:(ولباس التقوى ذلك خير) في قراءة من قرأ برفع لباس " (١١١)،وهذا الوجه مع كونه صالحا للإعراب إلّا أنّه يُفوّت مقابلة التعجّب بالاستفهام في الصنفين السابقين ، إذ المُنتظر أن يكون التعبير : والسابقون ما السابقون ؟ ، ووُصِف هذا الوجه بأنّه " ليس بذاك " (١١٢).

الوجه الثاني : أن يكون السابقون نعتا للأوّل ، والخبر الجملة المذكورة ، واستبعد هذا الإعراب ابن عادل بقوله : "وهذا ينبغي ألّا يعرّج عليه ، كيف يوصف الشيء بلفظه ، وأي فائدة في ذلك ؟ قال شهاب الدين : والأقرب عندي –إن وردت هذه العبارة ممّن يُعتبر– أن يكون سمّي التأكيد صفةً " (١١٣)، أي إنّ هذا الوجه راجع للأوّل . والوجه الثالث : أن يكون الوقف على قوله : " والسابقون" الأولى ، " ويكون قوله : " السابقون ، أولئك المقرّبون " ابتداء وخبرا ، وهذا يقتضي أن يُعطَف (والسابقون) على ما قبله ، لكن لا يليق عطفه على ما قبله ويليه ، وإنّما يليق عطفه على أصحاب الميمنة ، كأنّه قيل : وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة ، والسابقون ، أي : وما السابقون ؟ تعظيما لهم ، فيكونوا شركاء أصحاب الميمنة في التعظيم ، ويكون قوله على هذا " وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة " اعتراضا بين المتعاطفين . وفي هذا الوجه تكلّف كثير جدّا " (١١٤)، و " الصواب أن يوقف على الثاني ؛ لأنّه تمام الجملة ، وهو في مقابلة : ا أصحاب اليمين " (١١٥). أمّا الوجه الرابع ، وهو الأظهر في إعراب مثل هذا التركيب ، وهو أنّه مبتدأ وخبر ، على عادة العرب في تكريرهم اللفظ ، وجعلهم الثاني خبرا عن الأوّل ، ويعنون بذلك أنّ اللفظ المُخبَر عنه معروف خبره ، ولا يحتاج إلى تعريفه ، كما في قول الشاعر(١١٦): أنا أبو النجم وشعري شعري ....

يعني : أنّ شعري هو الذي أتاك خبره ، وانتهى إليك وصفه . والمعنى : " هم الذين اشتهرت أحوالهم ، وعرفت فخامتهم ... وفيه من تفخيم شأنهم والإيذان بشيوع فضلهم ما لا يخفى " (١١٧)، وقد ذكر ابن عادل تأويلا ثانيا لإعراب (السابقون) الثانية خبرا ، وهو أنّ " متعلّق السابقين مختلف ، إذ التقدير : السابقون إلى الإيمان السابقون إلى الجنّة ..." (١١٨)، ومثل

هذا الإعراب قوله (صلى الله عليه وآله): " مَن رآني في المنام فقد رآني " (١١٩)، وعزا ابن عطيّة هذا الإعراب – السابقون خبر الابتداء– إلى سيبويه ، وهذا كما تقول : الناس الناس ، وأنت أنت ، وهو على تفخيم الأمر وتعظيمه (١٢٠)، واختار الرازيّ هذا الوجه ، فقال في بيانه : " وفيه وجهان : أحدهما أن يكون لشهرة أمر المبتدأ بما هو عليه فلا حاجة إلى الخبر عنه وهو مراد الشاعر ، وهو المشهور عند النحاة ، والثاني : للإشارة إلى أنّ في المبتدأ ما لا يحيط العلم به ، ولا يخبر عنه ولا يعرف منه إلّا نفس المبتدأ ... فقوله: (والسابقون السابقون) أي : لا يمكن الإخبار عنهم إلّا بنفسهم ، فإنّ حالهم وما هم عليه فوق أن يحيط به علم البشر " (١٢١)، وأكّد المفسّرون على هذا التميّز في إعراب السابقين " والمعنى: أن حالهم بلغت منتهى الفضل والرفعة بحيث لا يجد المتكلم خبرا يُخبر به عنهم أدلّ على مرتبتهم من اسم السابقون فهذا الخبر أبلغ في الدلالة على شرف قدرهم من الإخبار بـ ما الاستفهامية التعجبيّة في قوله: ما أصحاب الميمنة، وهذا مثل قول أبي الطمحان القفينيّ :

وإني من القوم الذين همو همو ... إذا مات منهم سيد قام صاحبه . وقد حُذِف مُتعلّق (السابقون) في الآية لقصد جعل وصف السابقون بمنزلة اللقب لهم ، وليفيد العموم ، أي أنّهم سابقون في كلّ ميدان تتسابق إليه النفوس الزكيّة "(١٢٢).

ج–دلالة التبعيض لهذا الصنف ، فهو جزء من كلّ ، والجزئيّة فيه مرتبطة بملازمها ، ولذا فهذا الصنف لمحظ الأمم الكثيرة المتعدّة في الزمان وكثرة الأنبياء فهو ثلّة أي : مجموعة كثيرة في الأوّلين ، على حين هو مجموعة قليلة في الآخرين من أصحاب النبوّة الخاتمة ، خلافا لصنف أصحاب اليمين الذين هم ثلّة في الزمانين المتقدّم والمتأخّر إلى آخر الزمان ، ومن هنا نجد أنّ دلالة الاقتطاع ظاهرة في لفظ (الثلّة) –على ما ذكرنا سابقا– وهي أمارة التبعيض والجزئيّة ، ولو أريد الكثرة مطلقا بلا هذا الملحظ لاستعمل لفظة (كثير) فهي أنسب صوتيّا إلى مقابلها لفظة (قليل)، فمقاطعهما واحدة : مقطع قصير ، ثم طويل مفتوح ، فطويل مغلق ، على النحو الآتي : ك–/ث–/ ر–نُ ، ق – /لَ–/ ل–ن . وإنّما قدّم التعبير القرآنيّ خصوص الدلالة في لفظة (ثلّة) على المقابلة الصوتيّة تحرّيا لدقةّ المعنى المراد . فالثلّة " من الثلّ ، وهو الكسر ، كما أنّ الأمّة من الأمّ وهو الشجّ ، كأنّها جماعة كُسرت من الناس وقُطعت منهم " (١٢٣). ويظهر التبعيض –أيضا– من البناء الصرفيّ للفظة (الثلّة) فهي بزنة (فَعْلَة) وهذه الصيغة ذُكرت لها في المدوّنة الصرفيّة معانٍ مُبرّزة تجمع على معنى التركّز الذي يعتمد في مقداره على آلة حصوله ، كلفظة الغَرْفة ، يكون حجمها تبعا لآلة الغرف المستعملة ، إذ ذكر الصرفيّون وفاقا لسيبويه(١٢٤). معنى مُبرّزا لصيغة (فَعْلة) وهو دلالتها على " موضع الفعل في الأعضاء"(١٢٥)، وكذا ذكروا لهذا البناء الدلالة على المبالغة في صفة المفعول به : " جاء فُعلة بسكون العين كثيرا بمعنى المفعول ، كالسُبّة والضُحْكة " (١٢٦)، فالسُخْرة للذي يسخر منه الناس كثيراً، واللُعنة للذي يلعنه الناس (١٢٧)، والغَرفة بالفتح : المرّة الواحدة ، وبالضمّ : اسم للمفعول منه ، لأنّك ما لم تغْرِفه لا تسمّيه غُرفة(١٢٨)، ولهذا البناء دلالة على المقدار المعيّن ، كما في الخُطوة : لمقدار ما بين القدمين ، واللُقمة لمقدار ما يوضع في الفم من الطعام(١٢٩)، ويمكن حمل أمثلة البناء على معنى واحد وهو الدلالة على المقدار المعيّن للفعل في الموضع سواء كان ذلك المقدار ظاهرا للحسّ ومن ثمّ يظهر أثره في موضع محدّد أو كان المقدار معنويّا فلا يُدرك موضعه إلّا تصوّرا ، كالفُرجة لموضع الانفراج ، والقُربة لموضع لتقرّب ، والسُبقة لموضع التسابق ، فملحظ التبعيض واضح من دلالة البناء على المقدار المُعيّن ، وهي صيغة للضمّة في فائها أثر واضح في تحديدها وتعيينها . وتأتي قرينة التنكير في لفظة (ثلّة) مُعزّزة دلالتها على التبعيض ؛ لأنّ اللفظ " إذا ذُكِر بالتنكير كان على معنى البعض من الجملة ، كما تقول : رجال من الرجال ، وفائدة الآية أنّه ليس هذا لجميع الأوّلين والآخرين ، وإنّما هو لجماعة منهم " (١٣٠)، ولا شكّ أنّ (من) " تبعيضيّة كما هو بيّن ، فاقتضى أنّ السابقين في الأزمنة الماضية وزمان الإسلام حاضره ومستقبله بعضٌ من كلّ ، والبعضيّة تقتضي القلّة النسبيّة ، ولفظ (ثلّة) مُشعر بذلك ، ولفظ (قليل) صريح فيه"(١٣١).

د–صفات السابقين في الآية تُنبيء بتميّزها وعلوّها عن صفات أصحاب اليمين ، إذ وصفتهم بالمقرّبين ، من البناء (فَعّل)

الدالّ على المبالغة في التقريب فـ " لفظ (المُقرّبون) مأخوذ من القُربة بمعنى الخُطوة ، وهو " أبلغ من القريب ؛ لدلالة صيغته على الاصطفاء والاجتباء " (١٣٢)، أي : أولئك هم المقرّبون من ربّهم –عزّ وجلّ– قرب لا يعرف أحد مقداره ، " إشارة إلى أنّ قربهم محض لذّة وراحة ، لا كقرب خواص المُلك القائمين بأشغاله عنده ، بل كقرب جلسائه ونُدمائه الذين لا شغل لهم ولا يرد عليهم أمر أو نهي " (١٣٣).

هـ–الجزاء المُعَدّ للسابقين أعلى من جزاء الصنف الآخر ، فهو جزاء من نوع خاصّ ، وقد التمسوا لطائف بيانيّة في إيراد جزاء الصنفين ، منها تقديم ذكر قوله تعالى : (ثلّة من الأوّلين) في صنف السابقين على " ذكر السُرُر والفاكهة والحور ، وذُكر في أصحاب اليمين :(ثلّة من الأوّلين) بعد ذكر هذه النِعَم ، نقول : السابقون لا يلتفتون إلى الحور العين والمأكول والمشروب ، ونِعَم الجنّة تتشرّف بهم ، وأصحاب اليمين يلتفتون إليها ، فقدّم ذكرها عليهم، ثمّ قال : هذا لكم ، وأمّا السابقون فذكّرهم أوّلا ثمّ ذكر مكانهم ، فكأنّه قال لأهل الجنّة : هؤلاء واردون عليكم . والذي يتمّم هذه اللطيفة أنّه تعالى لم يقدّم ثلّة السابقين إلّا لكونهم مُقرّبين حسبا ، فقال:(المقرّبون في جنّات)(الواقعة ١١، ١٢)، ثمّ قال : (ثلّة) ثمّ ذكر النعم لكونها فوق الدنيا...وأمّا قوله:(في جنّات النعيم)(الواقعة ١٢)، فقد ذكرنا أنّه لتمييز مُقرّبي المؤمنين من مُقرّبي الملائكة ، فإنّهم مُقرّبون في الجنّة ، وهم مُقرّبون في أماكنهم لقضاء الأشغال التي للناس وغيرهم بقدرة الله " (١٣٤).

٤–اعتماد أصحاب هذا المعتقد على الدليل الروائيّ، ممّا ذكرنا سابقا ، وهذا فضلا عن ضعف الإسناد في هذه الروايات(١٣٥)، لما ما يُعارضها من الأدلّة الروائيّة الصحيحة التي تقدّم ذكرها (١٣٦)، ومنها أحاديث الحوض، وقد حاول القرطبيّ التوفيق بين هذا التعارض ختاما كلامه بحديث : " لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحقّ لا يضرّهم من خذلهم ، ولا من خالفهم إلى قيام الساعة " (١٣٧)، وهو لم يلتفت إلى كلمة طائفة الدالّة على التقليل، لذا فهو دليل ضعيف ؛ لأنّ من المعلوم أنّه متى ما تطرّق الاحتمال في قضيّة ما بطل الاستدلال(١٣٨).ممّا تقدّم يمكننا القول إنّ ظاهر القرآن أولى من التكلّف والتأوّل ، وإنّ الثلّة كثرة مقتطعة من غيرها وهي في السابقين من الأوّلين بلحاظ كثرة أنبيائهم ، أمّا المتأخّرون فسابقوهم قليل ، وهو لفظ يصلح للواحد وأكثر منه ممّا لا يكون كثرة حقيقيّة بل نسبيّة ، وهذا يُفسّر اشتمال الروايات الصحيحة عند الفرق الإسلاميّة كافّة على اختلاف معتقداتها الفكريّة على ذكر نوعين من السابقين : نوع فيه سابق واحد ، وهو قوله(صلى الله عليه وآله). في فضائل الإمام أحمد وكشف التعليّ بإسنادهما : " إنّ سُبّاق الأمّة ثلاثة ، لم يكفروا طرفة عين : الإمام عليّ بن أبي طالب(عليه السلام)، وصاحب ياسين ، ومؤمن آل فرعون ، فهم الصدّيقون ، وعليّ أفضلهم "(١٣٩)، ومثله أخرجه ابن مردويه عن ابن عبّاس ، وذكره السمعاني مرويا عن ابن عبّاس " وعليّ سبق بالإيمان "(١٤٠)، ومثله ما نقل ابن أبي حاتم في تفسيره عن ابن عبّاس في قوله تعالى: (والسابقون السابقون)، قال : " يوشع بن نون سبق إلى موسى ، ومؤمن آل يس سبق إلى عيسى ، والإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) سبق إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)"(١٤١)، وقد ضعّف بعضهم ما رواه أبو نعيم في الحلية بأنّه " لا يبعد أن يكون هذا الحديث موضوعا ، إذ فيه من أمارات الوضع أنّ صاحب ياسين لم يكن أوّل من آمن بعيسى " (١٤٢)، وفي هذا الكلام دليل على ما ذكرناه من أنّ السبق ليس بالدخول في الدين أوّلا ، وإنّما بالنصرة و التسليم المطلق ، لذا خلّد القرآن صاحب ياسين في سورة كاملة لأنّه نصر نبيّ الله عيسى (عليه السلام)، وفي الوقت الذي يُضعّف فيه هذا الحديث مع أنّ متنه يصبّ في موافقة آيات القرآن الكريم وفي مقدّمتها وصف السابقين بالقليل ، نجد أنّ البديل عند أصحاب هذا المُعتقد هو تصحيح بعض المرويّات التي تعارض صريح آيات القرآن ، من ذلك الزعم بأنّ الرسول (صلى الله عليه وآله). قال : " في الحديث الصحيح أنّ أمَنّ الناس عليّ في صحبته وذات يده أبو بكر "(١٤٣)، والله تعالى يقول في محكم آياته :(قُل لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَداكُمْ لِلْإِيمانِ)الحجرات ١٧ .

ونوع آخر فيه تعدّد السابقين إلى نبيّهم –على قلّتهم – لتنوّع أممهم واختلاف أعراقهم ، على نحو قوله (صلى الله عليه وآله): " أنا سابق العرب ، وصهيب سابق الروم ، وبلال سابق الحبشة ، وسلمان سابق فارس "(١٤٤)، فالمؤمنون

قليل في كلّ أمّة ، فكيف بالسابقين منهم " وإذ قد وُصِف السابقون بما دلّ على أنّهم أهل السبق إلى الخير ، و وُصِفت حالهم في القيامة عقب ذلك ، فقد عَلِم أنّهم أفضل الصالحين من أصحاب الأديان الإلهيّة ابتداء من عصر آدم إلى بعثة محمّد (صلّى الله عليه وسلّم) ، وهم الذين جاء فيهم قوله تعالى : (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ) النساء ٦٩ ، فلا جرم أنّ المراد بـ (الأوّلين) الأمم الأولى كلّها ، وكان معظم تلك الأمم أهل عناد وكفر ، ولم يكن المؤمنون فيهم إلّا قليلا كما تُنبِيء به آيات كثيرة من القرآن . و وُصِف المؤمنون من بعض الأمم عند أقوامهم بالمُستضعفين و بالأرذلين ، وبالأقلّين "(١٤٥). وهو وصف بصيغة الجمع الصحيح الدالّ على القلّة كما في لفظة (السابقين)، ولفظة (القليل) يجوز فيها الدلالة على الواحد وما هو أكثر منه ممّا لا يخرج عن القلّة ، وهي على نحو التعبير بلفظتي : بعض، والناس (١٤٦)، ولفظة : إنسان (١٤٧)، وهذا ما لم يلتفت له الجهلة ممّن خاض في تأويل آيات القرآن الحكيم ، ممّن أنكر دلالة (القليل) على الواحد وحصرها بالجماعة الكثيرة بدعوى النسبيّة ، فقيل : " والثلّة : الجمع الكثير ، ولا يمكن أن يطلق على الاثنين جمع ولا على الواحد قليل أيضا ، فعُلم أنّ المراد بالسبق من الآية عُرفيّ أو إضافيّ شامل للجماعة الكثيرة لا حقيقيّ " (١٤٨)، والصواب أنّ القليل حقيقة في الواحد ؛ لأنّه أوّل من نصر رسول الله (صلى الله عليه وآله). من الأمّة جميعها ؛ لعموم الدعوة المُحمّديّة كلّ العوالم وإن بدأت بحادثة إنذار العشيرة الأقربين ، وهو نسبيّ في الجماعة القليلة ممّن سبق مُلحظ تعدّد الأقوام والقبائل وامتداد زمن الدعوة الإسلاميّة إلى قيام الساعة . وقد جاءت لفظة (قليل) غير مجموعة ملحظ ثبوت القلّة لا حدوثها ، فالكلام في اليوم الآخر الذي تنتهي إليه كلّ الخلائق ، لذا لم يقُل : قليلون ، ممّا يُفهم إمكان الزيادة فيهم أو يكون نصّا في غير الواحد . وقد أورد المفسّرون أنفسهم حديثا في أتباع الأنبياء ويظهر فيه أنّ قلّتهم يمثّلها الرجل الواحد ، فعن ابن مسعود أنّ النبيّ(صلى الله عليه وآله). قال : " عُرِضت عليّ الأنبياء الليلة بأتباعها من أممها ، فكان النبيّ يجيء معه الثلّة من أمّته ، والنبيّ معه العِصابة من أمّته ، والنبيّ معه النفر من أمّته ، والنبيّ معه الرجل من أمّته ..." (١٤٩)، ولذا نجد في الروايات السابقة دلالة القليل على أمير المؤمنين (عليه السلام) (١٥٠)، ويؤيّد ذلك تشابه الجزاء في صنف السابقين مع الجزاء المذكور للأبرار وهي من صيغ القلّة (أفعال) في سورة الإنسان النازلة في أهل البيت وسيّدهم (عليّ) الذين تصدّقوا في يوم المسغبة ، فالتعبير القرآنيّ كرّم (القليل) وهو أمير المؤمنين بما كرّم به أصحاب إطعام الطعام في سورة الدهر، فذكر في الموردين الولدان المخلّدون ، والأرائك ، والثياب ، والأساور (١٥١)، فلم يكن ثمّة داع لهذه التخرّصات والتأويلات المتكلّفة للدفاع عن الصحابة قاطبة ؛ لأنّ صفة الخيريّة محفوظة لأغلبهم في صنف أصحاب اليمين ، أمّا الأخيريّة فلا تكون إلّا لبعضهم ؛ لأنّ تميّز الصفة يستدعي تميّز صاحبها ، وهذا لا يكون للأصحاب عموما ، وإنّما لمن حاز التميّز وظفر به .

الخاتمة:

يتّضح من البحث عدّة أمور:

١–اختلاف المفسّرين في توجيه لفظة (ثلّة) ، و لفظتي : الأوّلين والآخرين على أقوال عدّة تبعا لمعتقداتهم العقديّة من غير اعتماد على الضوابط اللغويّة وظواهر الآيات .

٢–يمكن القوا إنّ الثلّة هي مجموعة كثيرة ، وهذه الكثرة ملحوظة في صنف أصحاب اليمين ، أمّا صنف السابقين فهي ملحوظة في الأوّلين منهم لا غير ؛ لكثرة الأنبياء في أممهم .

٣–لفظة القليل دالّة على القلّة الحقيقيّة ، لا النسبيّة بأدلّة أثبتها البحث في طيّاته ، وهذه اللفظة تصدق على الواحد فأكثر ممّا لا يتجاوز حدّ القلّة إلى الكثرة نظرا لاختلاف القبائل والأجناس والأزمان .

٤–يوصي البحث بضرورة إقصاء التأويلات المخالفة لظاهر النصوص وقواعد الكلام الفصيح ، وغربلة الروايات لتنسجم مع وحدة التفسير الموضوعيّ للقرآن الكريم .

الهوامش:

(١) ينظر : لسان العرب ٥٠١/١

(٢) الصحاح : ١٦٤٧/٤ .

(٣) لسان العرب : ٥٠١/١ .

(٤) ينظر : لسان العرب ١٠٥/١ .

(٥) ينظر : جمهرة اللغة : ٤٣٢١/١ .

(٦) لسان العرب : ٥٠١/١ .

(٧) ينظر : جمهرة اللغة : ٤٣٢١/١ ، ولسان العرب : ٥٠١/١ .

(٨) ينظر : النهاية في غريب الحديث : ٢٢٠/١ .

(٩) ينظر : المخصص : ٧٧/٢ .

(١٠) جعل ابن فارس معنى الجماعة أصلا مستقلًا للثلة ، ينظر : المقاييس : ٤٣٢/١ .

(١١) ينظر : لسان العرب : ٥٠١/١ .

(١٢) ينظر : المصدر نفسه : ٥٠١/١ .

(١٣) النهاية في غريب الحديث : ٢٢٠/١ .

(١٤) ينظر : لسان العرب : ٥٠١/١ .

(١٥) المقاييس : ٨٦/٤ .

(١٦) الأثر العقديّ : ٨٨ .

(١٧) ينظر : طريق الهداية ، مبادئ ومقدّمات علم التوحيد عند أهل السنّة والجماعة : ٥١٣/١ .

(١٨) المواقف : ٣١/١ ، وينظر : مدخل لدراسة العقيدة الإسلاميّة ١٢٧/١ .

(١٩) وهاتان الفرقتان ممّن يُسمّون عموما بالسنة .

(٢٠) ويُسمّون بأهل السنّة والجماعة .

(٢١) ينظر : الأثر العقديّ : صفحة ٩٠ وما بعدها ، و المدخل إلى دراسة علم الكلام : ٧٥ .

(٢٢) ينظر : الأثر العقدي ٥٥ .

(٢٣) اختصائص ٢٤٥/٣

(٢٤) ينظر : الأثر العقديّ : ٥٦ ، و أثر العقيدة وعلم الكلام في النحو العربيّ : ٤٧٣ .

(٢٥) ينظر في ذلك كتاب مناهج المفسّرين وعقائدهم لسيّد مختار أبو شادي ، و الاختلاف العقديّ وأثره في اختلاف المفسّرين موسى شواش ، والمفسّرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات محمّد عبد الرحمن المغراويّ .

(٢٦) ينظر : الأثر العقديّ : ٨٣٦ .

(٢٧) ينظر على سبيل المثال : تعقّبات أبي حيّان النحويّة لجار الله الزمخشريّ في البحر المحيط . وأثر الاعتزال في توجيهات الزمخشريّ اللغويّة والنحويّة في الكشّاف .

(٢٨) ينظر: مناهج المفسّرين وعقائدهم ص ٥٠ وما بعدها .

(٢٩) ينظر : الأثر العقديّ : ٨٣٦ .

(٣٠) معاني القرآن وإعرابه : ١٠٩/٥ . وينظر : الكشف والبيان : ٢٠٣/٩ ، و معالم التنزيل : ٦/٥ ، والكشّاف : ٤٥٨/٤ ، والمحرر الوجيز : ٢١٨/٥ ، و الجامع لأحكام القرآن : ٢٠٠/١٧ ، وأنوار التنزيل : ١٧٨/٥ .

(٣١) ينظر : جامع البيان : ١٢٥/٢٣ .

(٣٢) مفاتيح الغيب : ٣٩٢/٢٩ .

(٣٣) ينظر : جامع البيان ١٢٧/٢٣ .

(٣٤) ينظر : لسان العرب : ٤٩٩/١ .

(٣٥) النكت والعيون : ٤٤٩/٥ .

(٣٦) سورة الأنفال ١٠ .

(٣٧) الفروق اللغوية : ٣٩٦/١ .

(٣٨) ينظر : جامع البيان : ١٢٦/٢٣ .

(٣٩) لسان العرب : ٢٨/١٢ .

(٤٠) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ١٠٩/٥ .

(٤١) الفروق اللغويّة : ١٦٥/١ .

(٤٢) المصدر نفسه : ٤١٥/١ .

(٤٣) الكشّاف : ٤٥٧/٤ .
(٤٤) ينظر : الدر المصون ١٩٨/١٠ ، واللباب : ٣٨١/١٨ .
(٤٥) روح المعاني : ١٣٤/١٤ .
(٤٦) أضواء البيان : ٥١٦/٧ ، وينظر : التفسير الوسيط : ١٦٤/١٤ .
(٤٧) ينظر : المحرّر الوجيز ٢١٨/٥ ، و اللباب ٣٨١/١٨ .
(٤٨) معاني القرآن ١٢٦/٣ .
(٤٩) معاني القرآن وإعرابه ١٠٩/٥ ، و ينظر : المحرر الوجيز ٢١٨/٥ ، و اللباب ٣٨١/١٨ ، والتحرير والتنوير ٢٨٩/٢٧–٢٩٠ .
(٥٠) المفردات : ١٧٦/١ .
(٥١) ينظر : الدر المصون ١٩٨/١٠ ، واللباب ٣٨٠/١٨ .
(٥٢) ينظر : عقيدة القرّاء ، دراسة في معاني القرآن ص ٥٠ .
(٥٣) معاني القرآن : ١٢٦/٣ .
(٥٤) ينظر : تفسير ابن أبي حاتم ٣٣٣٠/١٠و التحرير والتنوير ٢٩١/٢٧ .
(٥٥) ينظر : الكشف والبيان ٢١١/٩ والكشاف ٢٨٠/٤ و تفسير القرآن العظيم ٨/٨ ، والجواهر الحسان ٢١١/٩ .
(٥٦) الدرّ المنثور : ٧/٨ .
(٥٧) ينظر : مفاتيح الغيب ٣٩٢/٢٩ ، و الجامع لأحكام القرآن ١٩٩/١٧ ، وتفسير القرآن العظيم ٨/٨ ، واللباب ٣٨٢/١٨ .
(٥٨) زاد المسير ٢٢٤/٤
(٥٩) الكشاف٤٥٧/٤
(٦٠) ينظر: التحرير والتنوير : ٢٩٢/٢٧ .
(٦١) روح المعاني : ١٣٥/١٤ .
(٦٢) التحرير والتنوير٢٩١/٢٧–٢٩٢ .
(٦٣) ينظر : معاني القرآن : ١٢٦/٣ .
(٦٤) الجامع لأحكام القرآن : ٢٠٠/١٧ ، وينظر اللباب : ٣٨٢/١٨ .
(٦٥)ينظر : أضواء البيان ٥١٦/٧.
(٦٦) ينظر : تفسيرالقرآن للسمرقندي ٣٧٠/٣ والكشف والبيان ٢١٣/٩ ، و زاد المسير ٢٢٠/٤ ، وتفسير القرآن العظيم ٨/٨ ، واللباب ٣٨٣/١٨
(٦٧) ينظر : جامع البيان ٢١٢/٢٧ ، و الكشف والبيان ٢١١/٩ ، و النكت والعيون : ٣٩٢/٥ ، والتبيان ٤٤٩/٩ ، و معالم التنزيل: ٢٨٠/٤ ، و الكشاف ٤٥٧/٤ ، والمحرر الوجيز ٢٤١/٥ ، والجامع لأحكام القرآن: ١٤١/١٧ ، و أنوار التنزيل: ٢٨٤/٥ ،و مدارك التنزيل : ٢٠٧/٤ ، والدر المصون ٢٥٤/٦ ، واللباب ٣٨٠/١٨ ، والجواهر الحسان: ٢٠٣/٩ ، وأضواء البيان ٥١٥/٧ .
(٦٨) تفسير القرآن العظيم ٨/٨ .
(٦٩) ينظر: أنوار التنزيل ٢٨٤/٥ ، وإرشاد العقل السليم٨/١٩٠ ، وفتح القدير٥/١٧٩ ، وروح المعاني ١٢٤/١٤ .
(٧٠) ينظر: الكشف والبيان ٧٥/٦ ، ومعالم التنزيل : ١٥/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢١٢/١٧ ، واللباب ٢٠٤/١٨ .
(٧١) ينظر: معاني القرآن وإعرابه ١١٣/٥ .
(٧٢) ينظر: جامع البيان ١٢٨/٢٣ ،و الكشف والبيان: ٢١٣/٩ ، و معالم التنزيل: ١٦/٥ ، والجامع لأحكام القرآن ٢٠١/١٧ ، والبحر المحيط ٧٩/١٠ ، وتفسير القرآن العظيم ٢٥/٨ ، والدرّ المنثور ١٩/٨ .
(٧٣) ينظر: الجامع لأحكام القرآن ٢٠١/١٧ ، واللباب ٣٨٣/١٨ ، والتحرير والتنوير ٣٠٣/٢٧ .
(٧٤) البحر المحيط ٧٩/١٠ ، وينظر : المحرر الوجيز ٢١٨/٥ .
(٧٥) المحرر الوجيز ٢١٨/٥ ، و ينظر : البحر المحيط ٧٩/١٠ .
(٧٦) ينظر: روح المعاني : ١٣٥/١٤ .
(٧٧) زاد المسير ٢٢٠/٤ .
(٧٨) ينظر: مفاتيح الغيب : ٣٩٢/٢٩ . .
(٧٩) زاد المسير: ٢٢٠/٤ .
(٨٠) مفاتيح الغيب: ٣٩٢/٢٩ . ووالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم : يريد ما في سورة آل عمران ١٧٠ .
(٨١) ينظر : تفسير ابن أبي حاتم : ٥٤٣/٢ ، و معالم التنزيل : ٣٨٠/١ .
(٨٢) ينظر : : ذهبتم بها عريضة : تاريخ الأمم والملوك ، غزوة أحد : ٦٩/٢ .
(٨٣) ينظر : المحرّر الوجيز ٨٣/٣ ، واللباب : ١٨٦/١٠ . ثمّ اختلفوا في تحديد السابقين الأوّلين على أقوال متعدّدة ، فذكروا أنّهم أصحاب بيعة الرضوان ممّن أدرك البيعة تحت الشجرة ، أو الذين صلّوا القبلتين ، وغير ذلك ، ينظر : جامع البيان ١٣٥/١٤–١٣٧ .
(٨٤) ينظر : مغني اللبيب ٤٢٠/١ . ومن أمثلتهم للنفي في سياق (من) المبيّنة للجنس ، قوله تعالى : " ما ننسخ من آية" البقرة١٠٦ .

(٨٥) ينظر : جامع البيان : ٩٨/٢٣ . والحديث في : مسند أحمد : ٢٤٩/٢ ، رقم (٧٣٩٥) .
(٨٦) تفسير القرآن العظيم : ٨/٨ .
(٨٧) التحرير والتنوير : ٢٩١/٢٧ .
(٨٨) منهاج السنّة النبويّة: ١٥٥/٧ .
(٨٩) المصدر نفسه : ١٥٥/٧ .
(٩٠) نفسه : ١٥٦/٧ .
(٩١) مفاتيح الغيب: ٣٩٢/٢٩ ، وينظر : اللباب : ٣٨٣/١٨ .
(٩٢) أضواء البيان: ٥١٥/٥–٥١٦ .
(٩٣) التحرير والتنوير: ٢٩٠/٢٧ .
(٩٤) ينظر : معاني القرآن وإعرابه : ١٠٩/٥ ، و اللباب : ٣٨٣/١٨ ، والتحرير والتنوير : ٢٩١/٢٧ .
(٩٥) زاد المسير : ٢٢٠/٤ .
(٩٦) ينظر : تاريخ الأمم والملوك ، غزوة أحد ٧٣/٢ .
(٩٧) صحيح البخاري ٢١/١ ، رقم ٥٤ ، وينظر : صحيح مسلم : ٤٨/٦ ، رقم ٥٠٣٦ .
(٩٨) ينظر : صفحة ٥ من البحث .
(٩٩) الميزان : ١٢٠/١٩ .
(١٠٠) الجامع لأحكام القرآن : /٢٣٧ ,
(١٠١) التحرير والتنوير : ٢٨٩/٢٧ .
(١٠٢) مفاتيح الغيب : ٣٩٢/٢٩ .
(١٠٣) التحرير والتنوير : ٢٩٠/٢٧ .
(١٠٤) ذكر القرطبيّ أنّ التابعين يُطلق على من أسلم بعد الحديبية ، ينظر : الجامع لأحكام القرآن : ٢٣٩/٨ ، على حين ذكر الطبريّ أنّ المراد ب"الّذين اتّبعوهم" : الّذين سلكوا سبيلهم في الإيمان لله ورسوله ، ينظر : جامع البيان ٤٣٤/١٤ .
(١٠٥) ينظر : التحرير والتنوير : ٢٨٦/٢٧ .
(١٠٦) المصدر نفسه : ٢٨٦/٢٧ .
(١٠٧) ينظر : الكلّيات ٣٣٢/١ ، كلّ جمع مصحّح مذكّر كان أو مؤنّثا فهو أوزان القلّة "
(١٠٨) ينظر : الكشف والبيان: ٢٠٢/٩ ، و معالم التنزيل: ٢٥٥/٤ ، و الجامع لأحكام القرآن: ١٩٩/١٧ ، و أنوار التنزيل: ٤٥٩/٢ ، و البحر المحيط: ٧٩/١٠ ، و الدرّ المصون : ٢٥٤/٦ ، و اللباب : ٣٨٠/١٨–٣٨٣ .
(١٠٩) أنوار التنزيل : ١٧٨/٥ ، وينظر : روح المعاني : ١٣٢/١٤ .
(١١٠) ينظر : الكشّاف ٤٥٧/٤ ، والمحرّر الوجيز : ٢٤١/٥ ، مفاتيح الغيب : ٣٨٩/٢٩ ، والدرّ المصون : ١٩٥/١٠ ، و اللباب : ٣٧٨/١٨ ، وروح المعاني : ١٣٢/١٤ ، و التحرير والتنوير : ٢٨٧/٢٧ .
(١١١) الدرّ المصون : ١٩٥/١٠ ، وينظر : اللباب : ٣٧٨/١٨ . سورة الأعراف ٢٦ .
(١١٢) الكشّاف : ٤٥٧/٤ .
(١١٣) الدرّ المصون : ١٩٥/١٠ ، وينظر : المحرر الوجيز : ٢١٧/٥ ، و اللباب : ٣٧٨/١٨ .
(١١٤) الدرّ المصون : ١٩٦/١٠ ، و ينظر : اللباب : ٣٧٨/١٨ .
(١١٥) الكشّاف ٤٥٧/٤ .
(١١٦) ينظر : خزانة الأدب ٤٣٩/١ .
(١١٧) روح المعاني : ١٣٢/١٤ ، و ينظر : اللباب : ٣٧٨/١٨ .
(١١٨) اللباب : ٣٧٨/١٨ .
(١١٩) مسند أحمد : ٣٧٥/١ ، رقم (٣٥٥٩) .
(١٢٠) ينظر : المحرّر الوجيز : ٢٤١/٥ . وينظر : الكتاب : ٣٥٩/٢ .
(١٢١) مفاتيح الغيب : ٣٨٩/٢٩–٣٩٠ .
(١٢٢) التحرير والتنوير : ٢٨٧/٢٧ .
(١٢٣) الكشّاف : ٤٥٧/٤ .
(١٢٤) الكتاب : ٢٧/٤ .
(١٢٥) شرح الشافية : ١٦٢/١ .
(١٢٦) شرح الشافية : ١٦٢/١ ، وينظر : معاني الأبنية : ٦٧ ، ٧٢ .
(١٢٧) ينظر : فقه اللغة وسرّ العربيّة : ٣٩٦ ، و شرح الشافية : ١١٣/١ .
(١٢٨) ينظر : لسان العرب : ٣٢٤٢/٥ .

(١٢٩) ينظر : دلالة اللواصق التصريفيّة : ٢٠٣ .
(١٣٠) التبيان : ٣٩٣/٩ .
(١٣١) التحرير والتنوير : ٢٩١/٢٧ .
(١٣٢) المصدر نفسه : ٢٨٨/٢٧ .
(١٣٣) روح المعاني : ١٣٤/١٤ ، وينظر : مفاتيح الغيب : ٣٩٢/٢٩ .
(١٣٤) مفاتيح الغيب : ٤٠٨/٢٩ .
(١٣٥) ينظر : روح المعاني : ١٢٥/١٤ ، إذ ضعّف إسناد : الثلّثان من أمّتي .
(١٣٦) ينظر صفحة ١٢ من البحث ، فرواية : الثلّثان من أمّتي يُعارضها رواية حديث : فصل الجمعة ، و حديث : خير القرون قرني ، الذي أورده القرطبيّ في تفسيره : ٢٠١/١٧ وابن عادل في تفسيره : ٤٨٣/١٨ ، تُعارضه أحاديث الذود عن الحوض التي أخرجتها الصحاح ، ينظر : صحيح البخاري ٦٩/٦ ، حديث رقم (٤٦٢٥) ، وصحيح مسلم : ٧٠/٧ ، رقم (٦١٣٦) .
(١٣٧) تفسير القرآن العظيم : ٩/٨ .
(١٣٨) ينظر : الفروق ، أنوار البروق في أنواء الفروق ١٥٣/٢ .
(١٣٩) ينظر : الآحاد والمثاني ١٥٠/١ ، و الكشف والبيان ٧٥/٦ ، والكشّاف : ١٢/٤ ، والجامع لأحكام القرآن : ٢٠/١٥ ، والجواهر الحسان : ١٢٦/٨ .
(١٤٠) ينظر : تفسير القرآن للسمعانيّ : ٣٤٣/٥ ، و روح المعاني : ١٣٢/١٤ .
(١٤١) تفسير ابن أبي حاتم ٣٣٣٠/١٠ .
(١٤٢) منهاج السنّة النبويّة : ١٥٤/٧ .
(١٤٣) المصدر نفسه : ١٥٦/٧ .
(١٤٤) جامع البيان ٤٠٥/٢٠ . والحديث في : المعجم الكبير : ٣٤/٨ .
(١٤٥) التحرير والتنوير : ٢٩٠/٢٧–٢٩١ .
(١٤٦) قال الثعلبيّ في تفسيره : " وهذا جائز في العربيّة أن يُخبر عن الواحد بلفظ الجمع ، كقولهم : ...سمعت هذا الخبر من الناس ، وإنّما سمع من واحد ، نظير قوله تعالى : "الّذين قال لهم الناس " سورة آل عمران ١٧٣ ، يعني نعيم بن مسعود : " إنّ الناس قد جمعوا لكم " ، يعني أبا سفيان ، ونحوها كثيرة " ٦٠/٣ ، وينظر : تفسير الطبريّ ٤٠٦/٧ ، وتفسير السمرقندي : ٢٦٦/١ ، والكشاف : ٤٦٩/١ .
(١٤٧) ينظر : اختصاص : ٢٧/١ .
(١٤٨) مختصر التحفة الاثني عشريّة : ١٥٩/١ ، وينظر : منهاج السنّة النبويّة : ١٥٤/٧ .
(١٤٩) جامع البيان: ١٢٦/٢٣ ، و ينظر : الكشف والبيان : ٢١٢/٩ ، و معالم التنزيل : ٢٨٠/٤ ، والجواهر الحسان ٢٠٣/٩ .
(١٥٠) فكلّ ما ذكره المفسّرون عن أهل التأويل من تعلّق السابقين بالهجرة أو الدخول في الإسلام أوّلا ، أو الصلاة للقبلتين ، أو الجهاد وفداء النفس ، أو الطاعة وعدم التردّد فيها يتجسّد في عليّ (عليه السلام) .
(١٥١) تنظر : سورة الإنسان ١١–٢٢ .

المصادر والمراجع:

–القرآن الكريم
–الآحاد والمثاني ، أبو بكر الشيباني أحمد بن عمرو بن الضحّاك ، ت ٢٨٧ هـ، تحقيق : باسم فيصل أحمد الجوابرة ، دار الراية –الرياض ، ١٤١١–١٩٩١ .
–أثر العقديّ في تعدّد التوجيه الإعرابي لآيات القرآن الكريم جمعا ودراسة ، د. محمّد عبد الله بن حمد السيف ، دار التدمريّة ، السعودية ، ط١ ، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨ م .
–أثر العقيدة وعلم الكلام في النحو العربي ، د. مصطفى عبد العليم بكيت ، دار البصائر ، ط١ ، ١٤٣٣هـ–٢٠١٢م .
–إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، أبو السعود العمادي ، محمّد بن محمّد ، ت ٩٨٢ هـ ، دار إحياء التراث العربي .
–أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن ، الشنقيطي محمّد الأمين بن محمّد المختار ، ت ١٣٩٣هـ ، دار الفكر للطباعة ١٤١٥–١٩٩٥
–أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر البيضاوي ، ت ٦٨٥هـ ، تحقيق : محمّد عبد الرحمن ، دار إحياء التراث العربي–بيروت ، ط١ ، ١٤١٨هـ .
–بحر العلوم ، تفسير السمرقنديّ ، أبو الليث نصر بن محمّد بن أحمد ، ت ٣٧٣هـ ، دار الفكر –بيروت ، تحقيق محمودمطرجي ، بلا ت .
–البحر المحيط في التفسير ، أبو حيّان الأندلسي محمّد بن يوسف ، ت ٧٤٥هـ ، تحقيق : صدقي محمّد جميل ، دار الفكر –بيروت ، ١٤٢٠هـ .
–البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ، أبو العبّاس أحمد بن محمّد بن عجيبة الصوفيّ ت ١٢٢٤هـ ، تحقيق أحمد عبد الله القرشيّ ، ط ١٤١٩هـ .
–تاريخ الأمم والملوك ، المعروف بتاريخ الطبريّ ، محمّد بن جرير بن يزيد الطبريّ ، ت ٣١٠هـ ، دار الكتب العلميّة –بيروت ، ط١ ، ١٤٠٧هـ .
–التبيان في تفسير القرآن ، أبو جعفر محمّد بن الحسن الطوسي ، ت ٤٦٠هـ ، تحقيق أحمد شوقي الأمين ، وأحمد حبيب قصير ، المطبعة العلمية ، ومطبعة النعمان ، النجف الأشرف ١٩٥٧ م .

–التحرير والتنوير، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد ، محمّد الطاهر بن عاشور التونسيّ ، ت١٣٩٣هـ، الدار التونسية للنشر –تونس ، ١٩٨٤م .
–تفسير القرآن للسمعاني ، أبو المظفر منصور بن محمّد بن عبد الجبار المروزي الحنفي ثمّ الشافعي ، ت ٤٨٩هـ ، تحقيق ياسر بن إبراهيم ، دار الوطن ، السعوديّة ، ط١، ١٤١٨–١٩٩٧ .
تفسير القرآن العظيم ، ابن أبي حاتم ، أبو محمّد عبد الرحمن محمّد بن إدريس التميميّ الرازيّ ، ت ٣٢٧هـ ، تحقيق أسعد محمّد الطيب ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، السعودية ، ط٣ ، ١٤١٩هـ .
–تفسير القرآن العظيم ، ابن كثير أبو الفداء إسماعيل ن عمر الدمشقيّ ت ٧٧٤هـ ، تحقيق محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية محمّد عليّ بيضون –بيروت ط١ ، ١٤١٩هـ
تفسير القمّي
–التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، محمّد سيّد طنطاوي ، دار نهضة مصر ، الفجالة –القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٨م .
الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمّد بن أحمد بن أبي بكر ت ٦٧١ هـ ، تحقيق أحمد البردوني ، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط٢ ،١٣٨٤هـ–١٩٦٤م .
–جامع البيان في تأويل القرآن ، محمّد بن جرير الطبريّ ت ٣١٠هـ، تحقيق أحمد محمّد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط١ ، ١٤٢٠–٢٠٠٠ .
–جمهرة اللغة ، أبو بكر محمّد بن الحسن بن دريد الأزدي ت ٣٢١هـ ، تحقيق رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٧ م .
–الجواهر الحسان في تفسير القرآن ، أبو زيد عبد الرحمن بن محمّد الثعالبي ت ٨٧٥ هـ ، تحقيق محمّد عليّ معض ، ط١، ١٤١٨ هـ .
–خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغداديّ ت ١٠٩٣ هـ ، تحقيق عبد السلام محمّد هارون ، مكتبة الخانجي –القاهرة ، ط٤ ، ١٤١٨–١٩٩٧
–الخصائص ، أبو الفتح عثمان ابن جنّي الموصلي ت ٣٩٢ هـ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط٤ .
–الدرّ المصون في علوم الكتاب المكنون ، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف السمين الحلبي ، ت ٧٥٦هـ، تحقيق أحمد محمّد الخراط ، دار القلم ، دمشق .
–الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور ، السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ت ٩١١هـ ، دار الفكر ، بيروت .
–دلالة اللواصق التصريفيّة في اللغة العربية ، أشواق محمّد النجار ، دار دجلة –عمان ، ط١ ، ٢٠٠٦ م .
–روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمّد بن عبد الله الآلوسي ، ت ١٢٧٠هـ ،دار الكتب العلمية ، بيروت–لبنان ، ط١، ١٤١٥هـ.
–زاد المسير في علم التفسير ، جمال الدين أبو الفرج ت ٥٩٧ هـ ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط١، ١٤٢٢هـ .
–شرح شافية ابن الحاجب ، ركن الدين الاستراباذي ، حسن بن محمّد بن شرف شاه الحسيني ، ت ٧١٥هـ ، تحقيق عبد المقصود محمّد عبد المقصود ، مكتبة الثقافة الدينيّة ، ط١ ، ١٤٢٥هـ–٢٠٠٤م .
–الصحاح ، تاج اللغة وصحاح العربية ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي ت ٣٩٣هـ_ ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٤ ، ١٤٠٧هـ –١٩٨٧م .
–صحيح البخاري الجامع الصحيح ، أبو عبد الله محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري ، ت ٢٥٦هـ ، دار الشعب ، القاهرة ، ط١ ، ١٤٠٧هـ –١٩٨٧ م .
–صحيح مسلم المسند الصحيح المختصر ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، ت ٢٦١ هـ ، تحقيق مجموعة من المحققين ، دار الجيل ، بيروت ، ١٣٣٤ هـ .
–طريق الهداية مبادئ ومقدمات علم التوحيد عند أهل السنة والجماعة ، محمّد يسري ، ط٢، ١٤٧٢هـ – ٢٠٠٦
–عقيدة القرّاء دراسة في معاني القرآن ، د. جاسم داود الساموائيّ ، تقريظ خليل إبراهيم حمودي السامرائيّ ، دار الحكمة ، لندن ، ٢٠٢٤م .
–فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير ، محمّد بن عليّ بن محمّد الشوكاني ت ١٢٥٠هـ ، دار الفكر ، بيروت .
–الفروق للقرافيّ ، أنوار البروق في أنواء الفروق ، أبو العبّاس شهاب الدين أحمد بن أدريس المالكي القرافي ، ت ٦٨٤هـ ، عالم الكتب .
–الفروق اللغوية ، معجم الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري ، ت ٣٩٥هـ ، مؤسسة النشر الإسلامي ، ط١ ، ١٤١٢هـ .
–فضائل الصحابة ، أبو عبد الله أحمد بن حنبل بن هلال الشيباني ، ت ٢٤١ هـ ، تحقيق وصيّ الله محمّد عبّاس ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م .
–فقه اللغة وسرّ العربيّة ، أبو منصور الثعالبي ت ٤٢٩ هـ ، عبد الملك محمّد بن إسماعيل تحقيق عبد الرزاق المهدي ، إحياء التراث العربي ، ط١ ، ١٤٢٢–٢٠٠٢ .
–الكتاب لسيبويه ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي ت ١٨٠هـ ، تحقيق عبد السلام محمّد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط٣ ، ١٤٠٨–١٩٨٨ .
–الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري ت ٥٣٨هـ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٣، ١٤٠٧هـ .

-الكشف والبيان عن تفسير القرآن ، أبو إسحاق أحمد بن محمّد الثعلبي ،٤٢٧هـ ، تحقيق أبو محمّد بن عاشور ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت -لبنان ، ط١ ، ١٤٢٢-٢٠٠٢ .
-الكلّيّات ، معجم المصطلحات والفروق اللغوية ، أبو البقاء الكفوي أيوب بن موسى الحسيني ت ١٠٩٤ هـ ، دار إحياء التراث العربي ، ط١ ، ١٤٢٢-٢٠٠٢ .
-اللباب في علوم الكتاب ، أبو حفص سراج الدين عمر بن عليّ الحنبلي الدمشقي ت ٧٧٥هـ ، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود ، ط١ ١٤١٩هـ -١٩٩٨ م .
-لسان العرب ، ابن منظور محمّد بن مكرم بن عليّ أبو الفضل جمال الدين الإفريقي ، ت ٧١١هـ ، تحقيق عبد الله عليّ الكبير و محمّد الشاذلي ، دار المعارف ، القاهرة .
-مجمع البيان في تفسير القرآن ، أبو عليّ الفضل بن الحسن الطبرسي ت ٥٤٨هـ ، ط٢ ، دار الكتاب ، ودار الفكر،بيروت ١٣٧٧هـ – ١٩٥٧ م .
-المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمّد عبد الحق بن غالب الأندلسي ، تحقيق عبد السلام عبد الشافي ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢م .
-مختصر التحفة الاثني عشرية ، الدهلوي عبد العزيز غلام حكيم ، نقل إلى العربية سنة ١٣٠١هـ ، تحقيق محب الدين الخطيب ، مطبعة السلفية ، القاهرة ، ١٣٧٣هـ .
-المخصّص ، ابن سيدة أبو الحسن عليّ بن إسماعيل المرسي ، ت ٤٥٨هـ ، تحقيق جليل إبراهيم جفال ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١ ، ١٤١٧-١٩٩٦ .
-مدارك التنزيل وحقائق التأويل ، النسفيّ ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود ، ت ٧١٠هـ ، تحقيق مروان محمّد الشعار ، دار النفائس ، بيروت ٢٠٠٥ م .
-المدخل إلى دراسة علم الكلام ، د. حسن الشافعي ، إدارة القرآن والعلوم الإسلاميّة ، كراتشي ، باكستان ، ط٢ ، ٢٠١١م .
-مدخل لدراسة العقيدة الإسلاميّة ، عثمان جمعة ضميرية ، مكتبة الصوادي للتوزيع ، ط٢ ، ١٤١٧هـ – ١٩٩٦م .
مسند أحمد بن حنبل ، أبو عبد الله أحمد بن محمّد الشيباني ، ت ٢٤١هـ ، تحقيق السيد أبو المعاطي النوري ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤١٩-١٩٩٨ .
-معالم التنزيل في تفسير القرآن ، البغويّ أبو محمّد الحسين بن مسعود ، ت ٥١٠هـ ، تحقيق عبد الرزاق المهدي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط١، ١٤٢٠هـ
-معاني الأبنية في العربيّة ، د. فاضل صالح السامرائي ، جامعة الكويت ، ط١ ، ١٩٨١ م .
-معاني القرآن للفرّاء ، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي ، ت ٢٠٧هـ ، تحقيق أحمد يوسف النجاتي ، دار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر ، ط١ .
-معاني القرآن وإعرابه للزجاج ،أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل ، ت ٣١١هـ ، تحقيق عبد الجليل عبده ، عالم الكتب ، بيروت ، ط١ ، ١٤٠٨-١٩٨٨ .
-المعجم الكبير ، أبو القاسم الطبراني سليمان بن أحمد بن أيوب ، ت ٣٦٠هـ ، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي ، ابن تيمية ، القاهرة ، ط٢ .
-مغني اللبيب عن كتب الأعاريب ، جمال الدين أبو محمّد عبد الله بن يوسف بن أحمد ابن هشام ، ت ٧٦١هـ ، تحقيق مازن المبارك ، دار الفكر ، دمشق ، ط٦ ، ١٩٨٥ م .
-مفاتيح الغيب ، التفسير الكبير ، الرازي فخرالدين أبو عبد الله محمّد بن عمر ، ت ٦٠٦هـ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٣، ١٤٢٠ هـ .
-مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، الراغب الأصفهاني أبو القاسم حسين بن محمّد ، تحقيق صفوان داوودي ، دار القلم ، دمشق ، ط١ ، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م .
-المقاييس ، معجم مقاييس اللغة ، الرازيّ أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكرياء ، ت ٣٩٥ هـ ، تحقيق عبد السلام محمّد هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩هـ .
-مناهج المفسّرين وعقائدهم،أبو عبد الله سيّد بن مختار بن أبو شادي ، مراجعة أ.د. زكي محمّد أبو سريع ، دار ابن الجوزي ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠١٤م
-منهاج السنّة النبويّة في نقض كلام الشيعة والقدرية ، تقيّ الدين أبو العبّاس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحنبلي ، ت ٧٢٨ هـ ، تحقيق محمّد رشاد سالم ، جامعة محمّد بن سعود ، ط١ ، ١٤٠٦هـ -١٩٨٦ م .
المواقف ، الإيجي عضد الدين عبد الرحمن بن أحمد ،تحقيق عبد الرحمن عميرة ، دار الجيل ، بيروت ، ط١ ، ١٩٩٧ م .
-الميزان في تفسير القرآن ، السيّد الطباطبائيّ ، ت ١٤٠٢هـ ، ط١ ، ٢٠٠٩ ، بغداد .
-النكت والعيون ، الماورديّ أبو الحسن عليّ بن محمّد البغدادي ، ت ٤٥٠هـ ، تحقيق السيّد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت -لبنان
-نهج البلاغة المختار من كلام أمير المؤمنين ،الشريف الرضيّ محمّد بن الحسين بن موسى ت ٤٠٦ هـ ، العتبة العلويّة المقدّسة ، تحقيق الشيخ قيس بهجت العطار ، ط١ ، ١٤٣٧ هـ .
-النهاية في غريب الحديث والأثر ، ابن الأثير أبو السعادات محمّد الدين أبو السعادات المبارك الجزري ، ت ٦٠٦ هـ ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ١٣٩٩هـ -١٩٧٩م ، تحقيق طاهر أحمد الزاوي .

مجلة الذكوات البيض
١٤٤٣هـ-٢٠٢١م

general supervisor

Alaa Abdul Hussein Jawad Al-Qassam

Director General of Research and Studies Department

editor

Mr. Dr. fayiz hatu alsharae

managing editor

Hussein Ali Mohammed Al-Hasani

Editorial staff

Mr. Dr. Abd al-Ridha Bahiya Dawood

Mr. Dr. Hassan Mandil Al-Aqili

Prof. Dr. Nidal Hanash Al-Saedy

a.m.d. Aqil Abbas Al-Rikan

a.m.d. Ahmed Hussain Hai

a.m.d. Safaa Abdullah Burhan

Mother. Dr.. Hamid Jassim Aboud Al-Gharabi

Dr. Muwaffaq Sabry Al-Saedy

M.D. Fadel Mohammed Reda Al-Shara

Dr. Tarek Odeh Mary

M.D. Nawzad Safarbakhsh

Prof. Noureddine Abu Lehya / Algeria

Mr. Dr. Jamal Shalaby/ Jordan

Mr. Dr. Mohammad Khaqani / Iran

Mr. Dr. Maha Khair Bey Nasser / Lebanon